

الكتاب الرابع من سلسلة حكاية

حكاية الملائكة

من بدء الخلق إلى مشاهد الآخرة

في ضوء القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا
أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنِي وَثَلَاثَ وَرِبَاعٍ بِيْزْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

سورة فاطر، الآية ١



تأليف الباحث والكاتب

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

تاريخ التأليف: ٢٧ مارس ٢٠٢١ م — ١٤ شعبان ١٤٤٢ هـ

ISBN 978-1-7642390-6-6



بسم الله الرحمن الرحيم

حكاية الملائكة

من بدء الخلق إلى مشاهد الآخرة

في ضوء القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام

الكتاب الرابع من سلسلة حكاية

تأليف الباحث والكاتب

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

تاريخ التأليف: ٢٠٢١/٣/٢٧م - ١٤ شعبان ١٤٤٢هـ

ISBN 978-1-7642390-6-6

الإهداء

إلى الذين يفتح لهم الإيمان باب السؤال، فيسألون ليزدادوا فهمًا، ويقرؤون ليقتربوا من الحق، ويعرفون أن للمعرفة أمانة قبل أن يكون لها بريق. إليكم أهدي حكاية عالم لم تجعل لنا الحواس إليه طريقًا عامًا، وجعل لنا الوحي من أخباره ما يهدي القلب ويوقظ المسؤولية. أرجو أن تجدوا فيها ما يصل بين صدق الإيمان وصدق الكلمة، وبين محبة الملائكة والافتداء بما وصفهم الله به من طاعة وأمانة.

إلى أبي وأمي؛ أعود في هذه الصفحات إلى معنى الحفظ والرعاية، فتسبق إلى قلبي رعايتكما التي عرفتها في حياتي. قبل أن أتأمل استغفار الملائكة للمؤمنين، عرفت قيمة الدعاء الذي يحمل به الوالدان أبناءهما، والقلق الذي لا يطلب لنفسه ثناءً، والعطاء الذي يفرح بثمرة لا يضيفها إلى اسمه. أهديكما هذا الجهد بما يحمله من رجاء في النفع، وأسأل الله أن يجعل لكما نصيباً من خيره، وأن يجزيكما عن كل باب فتحتموه لي إلى التعلم والبر.

إلى زوجتي، التي شاركتني زمن هذه الكتب بما فيه من حضور وانشغال؛ لك من الامتنان ما يتصل بالصفحات التي ظهرت، وبالوقت الذي سبق ظهورها. إن الكتاب لا يكتب في عزلة عن حياة صاحبه، وتحت كل فصل ساعات كان يمكن أن تكون لنا على وجه آخر. أذكر صبرك وعونك بمحبة، وأرجو أن يكون هذا العمل وفاءً لشيء من ذلك، وأن يبقى ما نتعلمه سبباً في مزيد من الرحمة داخل البيت الذي ننطلق منه إلى الناس.

إلى ابني وابنتي؛ لا أريد لكم من معرفة الملائكة قائمة أسماء تحفظونها ثم تنسون معناها. أرجو أن تتعلموا معها أن الكلمة أمانة، وأن الخير لا يضيع إذا لم يره أحد، وأن القوة لا تبيح الظلم، وأن قول «لا أعلم» قد يكون أول الصدق. وحين تقرؤون عن ملائكة يبشرون أو يستغفرون أو يسلمون على أهل الجنة، تذكروا أن الرحمة التي تحبون سماع خبرها يمكن أن يظهر أثرها في طريقتكم مع الناس.

إلى معلمي الذين تركوا في نفسي أثراً يتجدد كلما فتحت القرآن أو رجعت إلى كتاب؛ وإلى روح الشيخ أحمد الوائلي، رحمه الله، الذي بقي لصوته وبيانه موضع في الذاكرة. لا أملك أن أرد فضل التعليم بكتاب، لكنني أستطيع أن أحفظ لأهله ذكراً طيباً، وأن أجتهد في ألا أستعمل ما تعلمته في تضليل قارئ أو تعظيم نفسي عليه.

إلى طلابي، وإلى الشباب الذين ألتقيهم في المدارس الأسترالية وفي مسجد وحسينية الإمام الكاظم عليه السلام بمدينة شبرتون؛ أهديكم صفحات أرجو أن تتسع لأسئلتكم عن الإيمان والغيب والوحي والمصير. لا تنجلوا من

السؤال الذي لم تتضح لكم إجابته، ولا تكتفوا بجواب جميل حتى تعرفوا مستنده. وبين الجرأة على التعلم والتواضع أمام الدليل ينو فهم يستطيع أن يثبت ويتجدد.

وإلى من يؤدون الأمانة حين لا ينتظرون شاهداً من الناس، ومن يخففون عن مريض، ويصونون قلباً خائفاً، ويسترون ضعفاً، ويردون حقاً، أهدي هذه الحكاية. لا أشبه البشر بالملائكة في حقيقتهم، ولكنني أرجو أن تقرب أخبار عباد الله المكرمين إلى نفوسنا حب الطاعة وحسن العمل. وأسأل الله أن يجعل هذا الإهداء دعاءً صادقاً، وأن يجعل ما بعده علماً نافعا، وأن يحفظنا من القول عليه بغير علم.

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي جعل طلب المعرفة باباً إلى شكره، وأودع في كتابه من أخبار خلقه ما يعين الإنسان على فهم مسؤوليته ومصيره. أحمدته على فرصة القراءة، وعلى القدرة على العودة إلى النص بعد أن نظن أننا أحطنا بمعناه، وعلى من يذكرنا بأن العلم لا ينمو مع الغرور. وأصلي وأسلم على النبي محمد وآله الطاهرين، راجياً أن يكون ما أجمعه من آثارهم باعثاً على صدق الاتباع وحسن البيان.

أبدأ شكر الناس بأبي وأمي، إذ لا ينفصل ما أكتبه عن الحياة التي تعلمت فيها أول معاني العطاء. ولزوجتي عرفان بما تبذله من صبر ومساندة، ولابني وابنتي محبة تجعلني أكثر انتباهاً إلى القارئ الذي يبدأ رحلته في السؤال. أحياناً تكون الفكرة واضحة في ذهن من طال اشتغاله بها، ثم يكشف سؤال قريب من القلب أن العبارة تحتاج إلى مزيد من العمل. ولهذا فإن للأسرة أثراً في الكتاب يتجاوز توفير الوقت إلى تذكير الكاتب بالناس الذين يكتب لهم.

وأخص بالذكر الأستاذة أم دعاء، معلمتي الأولى في القرآن الكريم ومدرسة التربية الإسلامية في المرحلة الابتدائية. إن رجوعي في هذا الكتاب إلى آيات الملائكة يعيد إليّ معنى البداية التي تعلمت فيها الإصغاء إلى كتاب الله وقراءة كلماته. يبقى فضل المعلم الأول حاضراً، ولو تغيرت الكتب التي بين يدي تليذه واتسعت المسافة بينه وبين مقعد الدرس.

وأذكر الشيخ عبد الرسول السوداني الناصري، الذي درست عنده خلال فترتي القصيرة جداً في حوزة النجف، شاكراً ما تلقينته في تلك المرحلة، من غير أن أجعل قصر التجربة دعوى لتأهيل لم أبلغه. وأذكر الأستاذ كامل،

مدرس مادة الأحياء في إعدادية الحمزة، ومعلمي وأساتذتي في مراحل الدراسة، ومنهم أساتذة قسم صحة المجتمع في المعهد التقني الطبي بحافظة الديوانية. لقد أسهم التعليم الديني والعلمي، كل في مجاله، في تنمية احترام السؤال والحرص على التمييز بين ما نعرفه وما نظنه.

ولروح سماحة الشيخ أحمد الوائلي، رحمه الله، دعاء ووفاء. أستحضر أثر مجالسه في وصل الثقافة الدينية بحياة الناس، وفي جعل البيان باباً للفهم. وما أرجوه من هذا الذكر أن أحفظ أثراً في تكويني، لا أن أنسب إلى الشيخ مراجعة هذا الكتاب أو الموافقة على نتائجه؛ فذلك أمر لم يقع ولا يصح ادعاؤه.

وأشكر العلماء والمحققين والمفهرسين والعاملين في حفظ المخطوطات ونشر الكتب، وكل من قرب مصدراً قديماً إلى قارئ بعيد عنه. فالعودة إلى رواية قصيرة قد تقف وراءها جهود أجيال في النسخ والمقابلة والشرح والترتيب. والاعتراف بهذا الفضل يقتضي أيضاً ألا نحمل المصدر ما لم يقله، وألا ننسب تعليق المحقق إلى صاحب المتن، وألا نخو اختلاف النقل من أجل سلاسة الحكاية.

ولطلابي والشباب الذين أتجاوز معهم امتنان خاص. أسألهم عن الملائكة لا تقف دائماً عند الاسم والوظيفة؛ فقد تسأل عن معنى الغيب، وعن الفرق بين التصديق والتخييل، وعن أثر الإيمان في حياة لا تخلو من الخوف والفقد. هذه الأسئلة تذكرني بأن قيمة الكتاب فيما يعين القارئ على فهمه، وأن كثرة الصفحات وحدها لا تؤدي هذا الواجب.

وأختم بشكر كل قارئ يدلني على لفظ يحتاج إلى تصحيح، أو مصدر أغفلته، أو معنى حملته أكثر مما يحتمل. لا تُنسب أخطاء هذا الكتاب إلى أحد ممن ذكرت؛ مسؤوليتها عليّ، وفضل التنبيه إليها محفوظ لمن يبذله. وأسأل الله أن يرزقني حسن قبول المراجعة، وأن يجعل الشكر في عملي مثلاً أجعله في أول صفحاته.

كلمة المؤلف

حين بدأت أتبع حضور الملائكة في القرآن، وجدت أن أخبارهم لا تنتظم في موضع واحد يمكن أن نغلقه بعد قراءة فصل قصير. يظهرون في مشهد الخلق وتعليم آدم، وفي بيوت تأتيها البشارة، وعلى طريق الوحي، وفي مواطن النصرة، ثم في عمل الإنسان الذي يحفظ، وفي لحظة مفارقتة الدنيا، وفي مشاهد البعث والحساب والسلام. ومن هذا الانتشار نشأت فكرة الحكاية: أن يصل القارئ بين المواضع، فيرى معنى ممتداً، من غير أن نحول تنوعها إلى قصة متخيلة.

أنا السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني، أقدم هذا العمل بصفتي باحثاً وجامعاً وقارئاً يريد أن يقرب ما يصل إليه من مادة. لست رجل دين، ولا أضع هذا الكتاب في موضع اجتهاد شرعي أو تحقيق رجالي مستقل. وما أستطيع أن أتحمّله هو مسؤولية الجمع والترتيب والمقابلة ووضوح العبارة، وأن أرجع في مواطن الاختصاص إلى أهله، وأن أنسب الحكم إلى من قاله. هذا التعريف يبين للقارئ طبيعة الجهد الذي بين يديه، ويساعده على استعماله في موضعه.

وقد علمتني القراءة أن المسافة بين سماع الخبر ومعرفة مصدره قد تكون أطول مما نظن. نسمع اسماً منذ الصغر، ثم نتبين أنه ورد في دعاء ولم يرد في القرآن. ونقرأ وصفاً في آية، ثم نجد في القوائم المتداولة قد صار اسماً شخصياً. ونعثر على حكاية في كتاب جامع، ثم نجد أن مصنفه نقلها من مصدر آخر أو أوردها مع اعتراض أو احتمال. هذه الفروق الصغيرة في ظاهرها هي التي تصنع الفرق بين كتاب يُعِين على المعرفة وكتاب يزيد المعلومة التباساً.

لذلك أردت أن يتسع العمل للأسماء المشهورة وغير المشهورة، وألا يختزل الملائكة في جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وحدهم. لكنني أردت للاتساع أن يكون موثقاً: لكل اسم موضع، ولكل وظيفة نص، ولكل خلاف بيان بقدر الحاجة. وما ورد في خبر لم تثبت صحته لا يُحى من سجل التراث، ولكنه لا يُقدّم للقارئ في مرتبة الاسم الذي نص عليه القرآن. إن حق المعرفة يشمل معرفة حدود الدليل أيضاً.

وأجد في موضوع الملائكة تحدياً خاصاً للكاتب. فالكون والنبات والحيوان تتيح لنا مشاهدتها بآباً من الملاحظة، أما هذا العالم فدخل الكتاب إليه الخبر الديني. لا نستطيع أن نستكمل مشهداً ناقص التفاصيل من تجربة يومية أو صورة التقطناها، ولا أن نعطي الخيال ما نعطيه للنص من ثقة. ولهذا اخترت أن تكون حرارة الحكاية من ترتيب ما ورد وفهم دلالاته، ومن علاقته بحياة الإنسان، لا من اختراع مشاهد وحوارات تجعل القراءة أشد إثارة وأقل أمانة.

ومع هذه العناية بالتوثيق، لا أريد أن يتحول الكتاب إلى سلسلة من التحفظات تقطع كل معنى. بعد أن يتضح للقارئ مصدر الخبر ومرتبته، يبقى مجال واسع للتأمل: لماذا تتصل البشارة ببيوت الأنبياء؟ ما الذي تتعلمه من إقرار الملائكة بحدود علمهم؟ كيف يغير الإيمان بحفظ العمل نظرنا إلى الخلوة والسلطة والحقوق؟ ولماذا يكون السلام ختاماً لأخبار طال فيها الخوف والانتظار؟ هذه أسئلة تجعل جمع النصوص بداية للفهم، لا نهايته.

ويظل لأهل البيت عليهم السلام حضور أصيل في منهج الكتاب ومادته. أقرأ ما ورد عنهم في الخلق والعبادة والوحي والبرزخ، وأستفيد من لغة الصحيفة السجادية ومنهج البلاغة، ومن أبواب كتب الحديث، وأحفظ

الفرق بين المتن المنقول وبين شرح العالم الذي قرأه. ولا أرى في المحبة إذناً بأن أنسب إليهم ما لم أتأكد من موضعه؛ فصدق النسبة من الوفاء لهم، كما أن حسن فهم ما ثبت من كلامهم من خدمة القارئ.

ولست أكتب لمن يجب التفاصيل الغيبية وحدها. أخطب من يسأل كيف يمكن للإيمان أن يصبح أمانة في حياته: أباً يربي، وشاباً يتعلم، وعاملاً يؤدي حقه، وإنساناً فقد من يحب ويبحث عن معنى لا تسخر منه العبارة الباردة. وأرجو أن يجد كل واحد منهم في هذه الصفحات ما يعينه، من غير أن أزعج أن الكتاب يجب عن كل سؤال أو أن رواية واحدة ترفع جميع ما في القلب من ألم.

لقد بدأت أعمال البحث والجمع في سلسلة «حكاية» مجتمعة منذ سنة ٢٠١٧م، كما بينت في كتبها السابقة، وظلت القراءة والمراجعة تمتدان بين موضوعاتها. ولا أنقل إلى هذا الكتاب تواريخ اكتمال تخص كتاباً آخر؛ فلكل عمل مراحل وموضوعه. أما ما يجمعها فهو الرغبة في خدمة الباحث عن الحقيقة العلمية والدينية، مع اختلاف مجال الدليل من كتاب إلى آخر.

وأضع بين يدي القارئ جهداً قابلاً للتصويب، لا اسماً أريد حمايته من النقد. إن استدراك مصدر أو تصحيح كلمة في آية أو رفع نسبة غير دقيقة نجاح للمراجعة، وإن اقتضى تغيير ما كتبت. أسأل الله أن يجعلني أول من ينتفع بهذا المعنى، وأن يرزقني من التواضع ما يحفظ للبحث طريقه، ومن الصدق ما يحفظ للقارئ حقه، ومن الرحمة ما يجعل المعرفة نافعة في الحياة.

الباحث والكاآب

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

موضع الكآب في سلسلة حكاية

يأتي «حكاية الملائكة» رابعاً في ترتيب قراءة سلسلة «حكاية»، بعد «حكاية الكون» و«حكاية النبات» و«حكاية الحيوان». يبدأ القارئ بالإطار الواسع للخلق والعالم، ثم يقترب من صورتين من الحياة يشاهدتهما في الأرض، ثم ينتقل هنا إلى عالم تتأسس معرفته الدينية به على الوحي. وهذا ترتيب موضوعي للقراءة، وليس جدولاً زمنياً يقرر أن الملائكة خلقوا بعد النبات أو الحيوان؛ فترتيب الكتب لا يثبت ترتيب الموجودات.

تألف السلسلة من أحد عشر كتاباً يجمعها مقصد المعرفة في ضوء القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام. وتتحقق وحدتها بالمصدر وأمانة النقل واحترام القارئ، لا بإعادة المقدمات نفسها أو استعمال صورة

أدبية واحدة في جميع الموضوعات. لكل حكاية سؤالها الذي يختص بها، ووجهها في الاقتراب من حياة الإنسان، ومساحة الأدلة التي تستطيع أن تتحرك فيها.

يفتح «حكاية الكون» النظر إلى السماوات والأرض والنظام والتحول والمصير. يأخذ هذا الكتاب من ذلك الإطار ما يتصل بخلق الملائكة وتسبيحهم وتديبرهم المأذون به وحضورهم في نهاية العالم. لكنه لا يعيد مباحث الفلك أو يضع الملائكة داخل نموذج علمي للكون؛ فالخبر عنهم لا يتحول إلى قياس تجريبي بمجرد مجاورته وصفاً للسماوات.

وتلتقي حكايتا النبات والحيوان مع هذا الكتاب عند معاني الرزق والتسبيح والعناية وتنوع الخلق. غير أن التشابه في بعض الألفاظ لا يساوي التماثل في الحقائق. فالجناح في وصف الملائكة لا يبيح لنا بناء تشريح لهم من تشريح الطير، وذكر خزان المطر لا يغني عن معرفة ما تحتاجه الزراعة من ماء وتربة، وتسبيح المخلوقات لا يقتضي أننا نعرف كيفية كل تسبيح. تحافظ السلسلة على صلات موضوعاتها، وتحفظ في الوقت نفسه حدود كل منها.

وتظهر الصلة بموضوع الجن في قصة إبليس وفي السؤال عن الخلق الذي لا تشهد أعيننا عادة. وهنا يكون من واجب «حكاية الملائكة» أن يحرر الفرق، ثم يترك التوسع في عالم الجن لكتابه. كما تظهر الصلة بموضوع الخلق قبل آدم حين نبث عن بداية وجود الملائكة، ولكننا لا نستعمل هذا الاتصال لإثبات مدد وأعداد لا يحملها الدليل.

أما الصلة بـ«حكاية الإنسان» فترافق معظم الفصول: من إعلان الخلافة، إلى الرحم والحفظ وكتابة العمل، ثم الموت والبرزخ والحساب. الإنسان هو الذي يقرأ أخبار هذا العالم ويسأل عن أثرها فيه، لكن الملائكة لا يُختزلون في خدمة البشر؛ فقد وصفهم النص بالعبادة والتسبيح قبل أن يظهر الإنسان في الحكاية. يحفظ هذا الكتاب مركز موضوعه، ويعود إلى الإنسان بمقدار ما تتصل به أعمالهم.

ويلتقي العمل مع «حكاية الهداية» في مسيرة الأنبياء والوحي وأهل البيت عليهم السلام. لا نروي هنا سيرة كل نبي كاملة، بل نتبع المشهد الذي حضر فيه الملائكة: ضيوف إبراهيم، ورسل لوط، وبشارة زكريا ومريم، وجبرئيل في نزول القرآن، وما ورد في روايات أهل البيت من تسديد وبشارة وزيارة. وللقارئ أن يعود إلى كتاب الهداية حين يريد الامتداد التاريخي الأوسع للرسالات.

وعند النهاية تشتد الصلة بموضوعات الروح والجنة والآخرة. لكن هذا الكتاب لا يستوعب كل مسائل الروح، ولا أوصاف الجنة كلها؛ مركزه ما ورد عن الملائكة فيها. بهذا التحديد تبقى السلسلة قابلة للقراءة المتصلة، ويبقى كل كتاب قادراً على أداء غرضه دون أن يتضخم بتكرار كتب أخرى داخله.

ويمكن قراءة «حكاية الملائكة» مستقلاً؛ إذ يقدم تعريفاته ومنهجه ومصادره وفهارسه في موضعها. كما يمكن قراءته حلقة في الرحلة الأوسع. وفي الحالين أرجو أن يجد القارئ وحدة القصد مع جدة العبارة، وأن يخرج من كل كتاب بسؤال أوضح ومعرفة أدق، لا بمجرد تكرار ما قرأه في سابقه.

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	٢
الشكر والتقدير	٣
كلمة المؤلف	٤
موضع الكتاب في سلسلة حكاية	٦
المقدمة العامة	١٢
منهج الكتاب ودليل القراءة	١٥
الباب الأول: بداية الحكاية وخلق الملائكة وحقيقة عالمهم	١٦
الفصل ١: قبل آدم وبداية خلق الملائكة	١٦
الفصل ٢: مم خلق الملائكة	١٧
الفصل ٣: صور الملائكة وأجنحتهم وتمثلهم	١٩
الفصل ٤: عباد مكرمون وطاعة الملائكة	٢٠
الفصل ٥: ماذا يعلم الملائكة	٢٤
الفصل ٦: مراتب الملائكة ومقاماتهم	٢٥
الفصل ٧: الروح وروح القدس والروح الأمين	٢٧
الفصل ٨: الملائكة والجن وإبليس	٢٩

الصفحة	المحتوى
٣٠	الباب الثاني: الملائكة في السماوات وتدير الخلق
٣٠	الفصل ٩: حملة العرش والحافون به
٣٢	الفصل ١٠: سكان السماوات والبيت المعمور
٣٣	الفصل ١١: ملائكة الحجب والمقربون والروحانيون
٣٥	الفصل ١٢: ميكائيل عليه السلام والاسم والمقام
٣٦	الفصل ١٣: ملائكة المطر والسحاب والرياح والجبال
٣٨	الفصل ١٤: رسل الأمر الإلهي
٤٢	الباب الثالث: الملائكة في مسيرة الأنبياء والأمم
٤٢	الفصل ١٥: جبرئيل عليه السلام وأمانة الوحي
٤٣	الفصل ١٦: الملائكة وإعلان خلافة آدم
٤٤	الفصل ١٧: السجود لآدم وبداية امتحان إبليس
٤٧	الفصل ١٨: الملائكة مع آدم وأسرته
٤٩	الفصل ١٩: الملائكة مع الأنبياء الأوائل
٥١	الفصل ٢٠: ضيوف إبراهيم وبشارة سارة
٥٣	الفصل ٢١: الملائكة مع لوط
٥٦	الفصل ٢٢: الملائكة مع أسرة إبراهيم
٥٧	الفصل ٢٣: الملائكة مع موسى وهارون وبني إسرائيل
٥٩	الفصل ٢٤: الملائكة مع بقية الأنبياء والأمم
٦١	الفصل ٢٥: هاروت وماروت والعلم والابتلاء
٦٢	الفصل ٢٦: الملائكة مع زكريا ومريم وعيسى
٦٥	الباب الرابع: الملائكة مع النبي محمد وأهل بيته عليهم السلام
٦٥	الفصل ٢٧: الملائكة في أخبار مولد النبي ونشأته
٦٦	الفصل ٢٨: نزول القرآن وصحبة جبرئيل للنبي

الصفحة	المحتوى
٦٨	الفصل ٢٩: الملائكة في الإسراء والمعراج
٧٠	الفصل ٣٠: الملائكة في مواطن النصر
٧٣	الفصل ٣١: الملائكة في بيت النبوة
٧٤	الفصل ٣٢: فطرس وأسماء الملائكة في أخبار أهل البيت
٧٦	الفصل ٣٣: الملائكة وكربلاء
٧٧	الفصل ٣٤: الأئمة و ليلة القدر وأخبار الظهور
٧٩	الباب الخامس: الملائكة في رحلة الإنسان وحياته اليومية
٧٩	الفصل ٣٥: الملائكة وبداية حياة الإنسان
٨٠	الفصل ٣٦: الحفظة والمعقبات
٨٢	الفصل ٣٧: الكرام الكاتبون
٨٣	الفصل ٣٨: رقيب وعتيد بين الوصف والاسم
٨٤	الفصل ٣٩: الملائكة والصلاة والقرآن والذكر
٨٧	الفصل ٤٠: الملائكة والدعاء والتوبة
٨٨	الفصل ٤١: الملائكة وأعمال الرحمة
٩٠	الفصل ٤٢: الملائكة والبيوت و حياة الإنسان الخفية
٩١	الباب السادس: عند انقضاء العمر والملائكة والموت والبرزخ
٩١	الفصل ٤٣: ملك الموت وأعوانه
٩٣	الفصل ٤٤: الملائكة عند الاحتضار
٩٦	الفصل ٤٥: منكر ونكير وسؤال القبر
٩٧	الفصل ٤٦: رومان وتسميات ملائكة القبر
٩٨	الفصل ٤٧: الملائكة في عالم البرزخ
١٠٠	الفصل ٤٨: نهاية العالم ومصير الملائكة
١٠٢	الباب السابع: الملائكة في مشاهد البعث والحساب والجزاء

الصفحة	المحتوى
١٠٢	الفصل ٤٩: إسرافيل والنفخ في الصور
١٠٤	الفصل ٥٠: الملائكة عند البعث والمحشر
١٠٦	الفصل ٥١: السائق والشهيد والملائكة عند الحساب
١٠٧	الفصل ٥٢: مالك وخزنة النار والزبانية
١٠٩	الفصل ٥٣: رضوان وملائكة أبواب الجنة
١١١	الفصل ٥٤: سلام الملائكة وخاتمة المشهد
١١٢	الخاتمة العامة: ماذا تعلمنا من حكاية الملائكة؟
١١٤	الملاحق التوثيقية
١١٤	ملحق ١ معجم أسماء الملائكة وتسمياتهم
١١٧	ملحق ٢ الألقاب والأوصاف والجماعات والوظائف
١١٨	ملحق ٣ دليل الآيات القرآنية الواردة بنصها
١٢١	ملحق ٤ دليل المصادر الروائية ومواضع الإفادة
١٢٣	ملحق ٥ نتائج التحقيق ومواضع الاختلاف
١٢٤	ملحق ٦ معجم المصطلحات
١٢٥	ملحق ٧ نصوص أساسية في معرفة الملائكة
١٢٧	المصادر والمراجع
١٢٩	الفهارس الختامية
١٢٩	فهرس أسماء الملائكة وتسمياتهم
١٣٠	فهرس الأوصاف والجماعات
١٣١	فهرس الأنبياء وأهل البيت والشخصيات المذكورة
١٣١	فهرس الموضوعات
١٣٢	فهرس كتب المصادر

المقدمة العامة

عند أول مشهد يقدمه القرآن عن جعل الإنسان خليفة في الأرض، نجد الملائكة مخاطبين. وعند أولى خطوات الوحي في حياة الأنبياء، تتكرر البشارة والرسالة. وحين يقترب الإنسان من آخر عمره، يعود ذكرهم في التوفي والطمأنينة أو في انكشاف عاقبة الظلم. ثم تبلغ الحكاية يوماً يقف فيه الخلق للحساب، وتظهر فيه صفوف الملائكة وخزنة الدارين، وينتهي المشهد بالحمد والسلام. بين هذه المواطن تتشكل أسئلة كتابنا، ويصبح جمعها رحلة لها بداية ومسار وخاتمة.

ولا يبدأ القرآن حديثه عن الملائكة بوصفهم زينة للعالم أو موضوعاً لفضول لا ثمرة له. إن الإيمان بهم داخل في الإيمان الذي يصف به الرسول والمؤمنين:

﴿أَمَّا الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ٢٨٥

سورة البقرة، الآية ٢٨٥

يجمع هذا النص الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، ثم يصل المعرفة بالسمع والطاعة وطلب المغفرة. فنذ البداية لا يستقيم أن تعرف أسماء الملائكة ثم تفصل عن الرسالة التي يحملونها، أو أن يصبح الإعجاب بهم بديلاً عن الاستجابة لله. إنهم جزء من عالم الهداية كما أخبرنا الله، ومعرفتهم تقربنا من فهم أمانة الوحي وعدل الحساب وسعة الرحمة.

ويظهر المعنى نفسه حين يصف القرآن البر، فيجمع الاعتقاد بالعمل الاجتماعي والصبر والوفاء:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ١٧٧

سورة البقرة، الآية ١٧٧

لقد جاء ذكر الملائكة هنا إلى جانب إيتاء المال وإقامة الصلاة والوفاء بالعهد والصبر. وهذه المجاورة تضيء اتجاه القراءة: لا نطلب الغيب لنغيب عن حياة الناس، بل لنعرف موضع الإنسان ومسؤوليته فيها. إن الإيمان الذي يُذكر مع إطعام المحتاج ورعاية اليتيم لا يليق أن يتحول إلى انشغال بالأسماء مع إهمال الحقوق.

من هم الملائكة؟ يخبر القرآن أنهم عباد مكرمون، وأن منهم رسلًا، وأنهم لا يسبقون الله بالقول وهم بأمره يعملون. ويصفهم بالأجنحة، ويعرض تمثل بعض المبعوثين في هيئة بشر، ويذكر جماعات في التسبيح والحفظ والكتابة وحمل العرش. لكنه لا يعرض كتابًا تشريحيًا عن حقيقتهم، ولا يسرد أسماء جميع أفرادهم. لذلك تتكون معرفتنا من نصوص لها درجات في الصراحة والتفصيل، ويكون حسن الجمع أن نحفظ تلك الدرجات بدل أن نسوي بينها.

ويبدو السؤال عن الأسماء بسيطًا حتى نفتح المصادر. فجبريل وميكايل ومالك وهاروت وماروت أسماء وردت في القرآن، مع وجوب قراءة سياق كل موضع. وملك الموت عنوان قرآني لوظيفة، أما عزرائيل فتسمية نبشت عن موضعها في الرواية والدعاء. ورقيب وعتيد وسائق وشهيد ألفاظ تؤدي أوصافًا في سياقها، فلا نضيفها آليًا إلى عدد الأسماء الشخصية. وقد يأتي اسم في خبر مروي لا تثبت جميع تفاصيله، أو يأتي الاسم الواحد بصيغ كتابية مختلفة. من هنا كانت الحاجة إلى معجم يوثق، لا قائمة تطول كلما تكرر فيها اللفظ.

وتأتي روايات أهل البيت عليهم السلام لتفتح جوانب من هذا العالم، وتربطها بعبادة الله وبحياة الإنسان. نجد في نهج البلاغة وصفًا لأصناف الملائكة ودوام طاعتهم، وفي الصحيفة السجادية دعاء يجمع أسماء وجماعات ووظائف، وفي الكافي وغيره أبوابًا عن الروح والحفظ والسؤال في القبر والبيوت والرحمة. ونجد في كتب الفضائل والزيارات أخبارًا لها سياقاتها وطرقها، منها ما يسمي ملائكة لا يعرف أسماءهم كثير من القراء.

وليست جميع هذه المادة في درجة واحدة من الثبوت. فالقرآن أصل، والرواية تنسب إلى مصدرها ويبحث طريقها، وشرح المصنف يظل شرحًا، وكلام المحقق لا يصير جزءًا من الحديث. وإذا ورد خبر في موسوعة مثل بحار الأنوار، وجب أن نعرف هل نقله المصنف عن أصل معين، أم أورده في بيان، أم ذكره مع اعتراض. إن سعة الموسوعة نعمة للباحث، لكنها لا تعفيه من تحديد نوع المادة التي يأخذها منها.

وهذا التمييز لا يراد به إبعاد القارئ عن جمال الحكاية. فلمشهد القرآني نفسه غني بما يكفي: إبراهيم يسرع بإكرام ضيوفه ثم يفاجئه امتناعهم عن الطعام؛ وسارة تتعجب من البشارة؛ ومريم تستعيز بالله حين ترى بشرًا في

خلوتها؛ والمؤمنون يطلبون العون فيأتي وعد التثبيت؛ وأهل الجنة يسمعون السلام من كل باب. قوة هذه المشاهد في صدق نقلها وترابط معناها، ولا تحتاج إلى حوار زائد نضعه على ألسنة أصحابها.

وتحتاج الروايات التي تبدو متعارضة إلى قدر آخر من الأناة. فقد يصف القرآن الملائكة بالطاعة، ثم يرد خبر في عقوبة ملك أو سلب أجنحته. لا نحل هذا التعارض الظاهر بحذف الآية، ولا بإعلان صحة الخبر أولاً ثم البحث عن أي تأويل يلائمه. ننظر في طريقه ولفظه وما قاله أهل الاختصاص، ونبين للقارئ أين انتهى البحث. وقد تكون النتيجة إثبات موضع الاسم دون الجزم بصدور كل تفاصيل حكايته.

أما الغيب في هذا الكتاب فلا يصبح مادة لادعاء اتصال شخصي أو لكشف مصائر الأفراد. لا نعرف من هيئة مرض إنسان ما يراه من الملائكة، ولا نستطيع أن نعين اسم الحافظ الملائم لشخص، ولا نجعل حلماً أو ظاهرة ضوئية حديثاً عن الله. إن المصدر الذي يفتح لنا باب المعرفة هو نفسه الذي يمنعنا من تجاوز مقدارها. وعلى هذا الأساس نحفظ قيمة الخبر، ونحكي القارئ من أن يتخذ الخيال ديناً.

وتنتظم الرحلة في سبعة أبواب. يبدأ الأول بالخلق والصفات والعلم والطاعة والتمييز بين الملائكة والجن. ثم يتناول الثاني أعمالهم في السماوات وما ورد في التدبير. ويسير الثالث مع الأنبياء من آدم إلى مشاهد زكريا ومريم وعيسى. ويختص الرابع بالنبي محمد وأهل بيته عليهم السلام، من الوحي والمعراج إلى الأخبار المتصلة بفضائلهم وكربلاء ولية القدر. ثم يقرب الباب الخامس المشهد من حياة الإنسان اليومية، ويعبر السادس إلى الموت والبرزخ، وينتهي السابع بالنفخ والبعث والحساب والنار والجنة والسلام.

وتأتي الملاحق لتخدم من يريد العودة إلى تفصيل محدد: معجم الأسماء، ودليل الألقاب والجماعات، وفهرس الآيات، ومواضع المصادر، وخلاصة النتائج المنهجية، والمصطلحات. ونُحال الموضوعات إلى أرقام الفصول، حتى تبقى الإحالة نافعة إذا تغير حجم الخط أو توزيع الصفحات. والفهرس هنا جزء من أمانة الكتاب؛ إذ لا يكفي أن نضع معلومة في موضع بعيد ثم نترك القارئ يبحث عنها بلا دليل.

لقد تحررت في المادة القرآنية مواضع الاسم الصريح واللفظ الجمعي، ثم ضمت إليها المواضع التي يعرف موضوعها بالوصف أو السياق، كحملة العرش والكتابة والسفرة والخزنة. وفي الروايات تتبعنا الأبواب المتصلة بهذه الموضوعات والأسماء التي ظهرت فيها، مع الرجوع إلى الأصول حيث أمكن. وهذا عمل قابل للاستدراك؛ فلا يدعي مؤلف أنه أحاط بكل رواية في كل نسخة وكتاب. الذي يلتزمه هذا العمل هو ألا يسقط ما وقف عليه لأنه غير مشهور، وألا يثبت ما لم يتحقق من موضعه لأنه يناسب السرد.

وأرجو أن تنتهي القراءة إلى أثر أعمق من دهشة عابرة: أن نستحي من الكذب ونحن نقرأ عن أمانة الوحي، وأن نحفظ حقوق الناس ونحن نقرأ عن حفظ العمل، وأن نكثر من الرحمة ونحن نقرأ عن الاستغفار والبشارة، وأن يبقى رجاؤنا بالله مقرونًا بحسن السعي. عندئذ تكون حكاية الملائكة قد وصلت إلى حياة قارئها، ويصبح النظر إلى العالم الغائب عونًا على إصلاح العالم الذي نعيش فيه.

منهج الكتاب ودليل القراءة

القرآن الكريم هو المرجع الأول في بناء موضوعات هذا الكتاب. تُثبت الآيات بنصها الكامل في مواضع الاستشهاد، وتظهر السورة ورقم الآية معها. وقد جرى جمع المواضع التي يرد فيها ذكر الملائكة وأسمائهم الصريحة، ثم تتبع الأوصاف والسياقات المتصلة بهم. ولا يعد البحث اللفظي وحده استقصاءً موضوعياً كاملاً؛ فعبارة «خزنة الجنة» أو «الذين يحملون العرش» قد تدل على الموضوع من غير ورود لفظ الملائكة في الآية نفسها. وتُقرأ الروايات من مصادرها الإمامية بحسب الباب، ويُفصل بين إثبات وجود النص والحكم بصحة صدوره. فعبارة «ورد في الكافي» تعين كتاباً، ولا تصحح السند تلقائياً؛ وعبارة «نقله المجلسي» لا تعني أنه اختاره أو صححه. وحين ينقل الكتاب حكماً من مرآة العقول أو غيره، يُذكر صاحبه وموضعه، ولا يُقدّم الحكم بوصفه إجماعاً. أما الطريق المرسل أو المرفوع أو النقل الذي لا يُعرض فيه سند كامل فيُوصف بما يظهر من مصدره. ويُقدّم المرجع الأقرب متى أمكن الرجوع إليه. وإذا كان الوقوف على الخبر بواسطة بحار الأنوار أو مصدر جامع، صُرح بهذه الوساطة. ولا يُجعل انتقال الخبر الواحد بين كتب متعددة تعدداً مستقلاً في طرقة. كما يراعى اختلاف ترقيم بعض مجلدات بحار الأنوار؛ ولذلك تُقرن الإحالة برقم الباب والصفحة أو بموضوع النص، ويُذكر اختلاف الترتيب عند الحاجة.

ويُفصل العرض بين أربعة أنواع من الكلام: الآية المنقولة، والحديث المقتبس بلفظه، وخلاصة الخبر التي يصرح بأنها بالمعنى أو يصوغها بعبارة تدل على النقل، وشرح المؤلف واستنتاجه. لا توضع الخلاصة بين علامتي اقتباس كأنها ألفاظ المعصوم، ولا يضاف إلى الخبر حوار من أجل وصل مشهدين. وحيث لا يقدم المصدر تاريخاً أو اسماً أو عدداً، لا يُملاً الفراغ بتخمين.

ويضم معجم الأسماء ما ثبت موضع تسميته في المصادر التي تناولها الكتاب، مع الإشارة إلى الاسم القرآني والاسم الروائي واللقب المحتمل والصيغة البديلة. أما الحفظة والزبانية والسفرة وحملة العرش ونحوها فتجمع في

دليل الجماعات والأوصاف. وعدد المداخل لا يساوي عدد الملائكة، كما أن عدم ذكر تسمية في هذا المعجم لا يثبت أنها لم ترد في أي مصدر خارج نطاقه.

ولا يُحوّل الخبر الغيبي إلى وصفة طبية أو اختبار تجريبي أو حكم على مصير إنسان بعينه. كما لا يستقل الكتاب بإصدار الأحكام الفقهية في الصور والبيوت وغيرها؛ إنما يعرض النص الذي يتصل بموضوعه ويبين ما يحتاج إلى جمع أدلة وبحث عند أهل الاختصاص. وحفظ هذا الحد يمنع تحميل الرواية مسؤولية استنتاج لم تقله.

وتبدأ إحالات الروايات من جديد في كل فصل، وتُجمع المصادر العامة في آخر الكتاب. وتثبت الفهارس أرقام الفصول بدل صفحات قد تتغير في نسخة العمل. ويمكن قراءة الكتاب متصلاً، أو البدء باسم أو موضوع ثم الرجوع إلى سياقه. وفي الحالين يرجى أن تُقرأ خلاصة الخبر مع مرجعه والتنبيه الذي يخصه، حتى لا تنتقل معلومة مقتطعة وقد فقدت مرتبتها وحدودها.

الباب الأول

بداية الحكاية وخلق الملائكة وحقيقة عالمهم

الفصل ١: قبل آدم وبداية خلق الملائكة

تبدأ صلتنا بالملائكة في القرآن من مشهد يسبق حياة آدم على الأرض. كان الخطاب موجهاً إليهم حين أعلن الله جعل خليفة في الأرض. وهذه البداية تثبت حضورهم في ذلك المشهد، لكنها لا تعطينا تاريخاً حسابياً لخلقهم أو عدد السنين الفاصلة بينهم وبين آدم.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۚ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٣٠

سورة البقرة، الآية ٣٠

يظهر في الآية خلق يسبح ويقدس ويسأل، ويظهر علم إلهي لا يحيطون به. ومن هنا لا يصح أن نقرأ أسئلتهم باعتباره تمرّداً يشبه استكبار إبليس؛ فالمشهد نفسه يمضي إلى إقرارهم بحدود العلم، ثم إلى امتثال الأمر. وتفصيل ذلك يأتي في باب آدم.

تصف الخطبة الأولى من نهج البلاغة أصنافاً من الملائكة في العبادة والرسالة والحفظ، فتفتح أمام القارئ صورة لعالم واسع الوظائف. [١] لكنها لا تسند إلينا تقويماً لبدايات جميع المخلوقات. أما الأخبار التي ترتب خلق الأنوار أو الأرواح أو الملائكة فتحتاج إلى قراءة مفردة لأسانيدھا ودلالاتھا، ولا يجوز جمع أرقام مختلفة منها ثم تقديمھا نخط زمني واحد.

إن قولنا «قبل آدم» محدد بهذا القدر. نعرف أسبقية وجود الملائكة على المشهد الذي خوطبوا فيه بشأن آدم، ونمتنع عن ملء المسافة الزمنية بما لم يثبت. ويمنحنا هذا التوقف بداية أمينة للحكاية؛ فالجهل بالتاريخ التفصيلي لا يمنع فهم ما يكشفه النص من معنى العبودية والتعليم.

وفي هذا المشهد لا تكون الأرض مركز الوجود كله، وإن كانت موطن الخلافة التي يدور حولها السؤال. إن وجود مخاطبين قبل آدم يكشف أن قصة الإنسان دخلت عالماً قائماً بطاعة الله، وأن العبادة لم تبدأ حين بدأ البشر عبادتهم. ومعنى هذا السبق ليس الانتقاص من الإنسان، فقد خُصَّ بالتعليم والتكليف، بل وضعه في موضعه بين مخلوقات لا يعلم عددها ولا يحيط بأحوالها.

وتعرض الخطبة الأولى صوراً متجاوزة: ملائكة مقيمون على السجود والركوع والتسبيح، وأمناء يترددون بالأمر إلى الرسل، وحفظة للعباد وسدنة للجنان. هنا يظهر الخلق السابق لآدم عالماً عاملاً، لا جمهوراً ينتظر ظهور الإنسان ليجد له وظيفة. وعندما يدخل آدم الحكاية تنشأ صلة جديدة بين العالمين، تقوم على التعليم والسجود المأمور به ثم الحفظ والرسالة وكتابة العمل.

ولهذا لا أبدأ القصة بليلة متخيلة أو بحوار عن زمن لم ينقله المصدر. البداية التي بين أيدينا أبلغ من ذلك: خطاب إلهي، وسؤال يكشف حدود المعرفة، وجواب يمهّد لظهور حكمة لم تكن معلومة للسائلين. ومن هذا الموضع تنطلق الرحلة، ويصبح أول ما نتعلمه عن الملائكة أنهم عباد يسمعون الأمر ويتلقون العلم.

[١] الشريف الرضي، نهج البلاغة، الخطبة الأولى، مقطع أصناف الملائكة. استُخدم متن الخطبة دون اعتماد شرحها المطبوع بوصفه رواية.

الفصل ٢: مم خلق الملائكة

يسأل الإنسان عن مادة كل ما يعرفه، ويحاول أن يقيس المجهول بما ألفه. غير أن معرفة بعض أوصاف الملائكة لا تعني الإحاطة بحقيقتهم. فالقرآن يصف وظائفهم وعبوديتهم وتمثلهم، ولا يقدم في الآيات المستشهد بها تعريفاً فيزيائياً لمادة خلقهم.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١

سورة فاطر، الآية ١

تربط الآية بين الخلق والرسالة، وتذكر الأجنحة وتفاوتها، ثم تفتح الأمر على زيادة الله في الخلق. وليس في هذا البيان ما يسمح لنا بتحديد تركيب الملائكة، أو تحويل لفظ النور في الأخبار إلى فوتونات أو إشعاع يمكن حساب طوله الموجي. هذا نقل للفظ من سياق ديني إلى اصطلاح علمي يحتاج إلى دليل لا يوفره التشابه اللفظي.

تتناول أخبار الخلق النوراني سؤالاً لا تفصله هذه الآية: من أي شيء خلق الملائكة؟ وللجواب نرجع إلى الخبر المحدد في مصدره، مع حفظ الفرق بين وصف المخلوق وبين وصف خالقه. فالملائكة مخلوقون لله، وليسوا أجزاء من ذاته ولا قوى مستقلة عنه.

ومن المواضع التي يمكن تعيينها في مادة الخلق ما نقله المجلسي عن كتاب الاختصاص، عن المعلى بن محمد رفعه إلى الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله عز وجل خلق الملائكة من نور». [١] لفظ «رفعه» في هذا الطريق يعني أن سلسلة النقل المعروضة لا تذكر جميع الوسائط؛ لذلك ثبت وجود الخبر ومضمونه، ولا نصف هذا الطريق بمجرد عرضه بأنه صحيح متصل. ونسبة كتاب الاختصاص المتداول إلى الشيخ المفيد نفسها لا تغني عن فحص مادته.

ولفظ الخلق أساسي هنا؛ فالنور المذكور مخلوق، وليس جزءاً مقتطعاً من ذات الله. كما أن وصف الملائكة بالنور لا يجعل كل ضوء ملكاً، ولا يجعل الظاهرة الضوئية دليلاً على ظهور أحدهم. وتبقى المسافة بين التعبير الروائي وبين تحديد الكيفية مسافة حقيقية يحفظها النص.

إن جمع الآية والخبر يقدم معرفتين مختلفتين: القرآن يصفهم بالرسالة والأجنحة، والخبر المذكور يتناول أصل خلقهم. ولا يلزم أن تتنافس المعرفتان، إذ يجب كل منهما عن سؤال. والذي لا نملكه هو نقل ذلك إلى وصف تشريحي أو قانون تجريبي لم يقله أي منهما.

من مراجع الآيات في الفصل: فاطر ١.

[١] المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٦ في طبعة دار إحياء التراث العربي، باب ٢٣، ص ١٩١، الحديث ٤٨، نقلاً عن الاختصاص، ص ١٠٩. يظهر المجلد نفسه برقم ٥٩ في بعض ترتيبات الموسوعة. الطريق المعروض مرفوع.

الفصل ٣: صور الملائكة وأجنحتهم وتمثلهم

ربما ارتبط اسم الملك في ذهن القارئ بصورة فنية واحدة. لكن الصورة المتداولة لا تحدد ما يقوله النص. يذكر القرآن الأجنحة، ثم يعرض في قصة مريم مشهد تمثل الروح لها في صورة بشر، فيدعونا إلى الفصل بين حقيقة المخلوق وبين الهيئة التي ظهر بها في واقعة محددة.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ١٧

سورة مريم، الآية ١٧

لم تستقبل مريم المشهد بوصفه لوحة بعيدة، بل واجهت حضوراً في مكان خلوتها. لذلك كان ردها استعاذة بالله. وتدل العبارة القرآنية على التمثّل، ولا تسوّغ أن نقرر من عندنا أنه تحوّل بيولوجي أو أن مريم رأت جميع أبعاد حقيقته. وما يقال في تعيين الروح في هذا الموضع يرجع إلى تفسيره، مع بقاء النص نفسه منضبطاً بلفظه.

ويقدم ضيوف إبراهيم مثلاً آخر لفهم اختلاف الظاهر عن حقيقة المبعوثين؛ فقد قرب إليهم طعاماً ثم خاف حين لم تصل أيديهم إليه. لا يلزم من هذا أن ننسب إليهم حاجات الإنسان الغذائية. وفي الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية وصف لجماعات أغناهم الله عن الطعام والشراب بتقديسه. [١]

إن الأجنحة والتمثّل من الألفاظ التي تُقبل في حدود دلالتها، من غير تشبيه قسري ولا إلغاء للمضمون. فلا نجعل الملك طائراً كبيراً، ولا نجعل ظهوره البشري إنكاراً لوجوده الحقيقي. والفصل بين النص والتصور الذهني يحفظ للقارئ مساحة الاعتراف بأن بعض الكيفية لم يُشرح له.

ويشرح القرآن لماذا لا يُقاس حضور الملك دائماً على توقعات الناس. فالذين اقترحوا أن يكون الرسول ملكاً واجهوا سؤال القدرة على التلقي وطبيعة اللقاء:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ ٩

سورة الأنعام، الآية ٩

إن جعل المبعوث في هيئة رجل يبقى صورة بشرية يمكن مخاطبتها، لكنه لا يزيل عن المعاند باب الاعتراض. ولهذا لا تكون معرفة الحق مرهونة بظهور هيئة تحرق كل مألوف؛ فقد يقع التمثّل ويبقى الامتحان في تصديق الرسالة.

ومن جهة أخرى لا تجعل الأجنحة أعداداً ثابتة لجميع الملائكة. آية فاطر تذكر التفاوت والزيادة في الخلق. فالتنوع جزء من وصف العالم الملائكي، ولا يسمح لنا مشهد واحد أن نرسم هيئة موحدة للجميع. أما الأخبار ذات الأعداد الكبيرة للأجنحة فتُقرأ خبراً خبراً، ولا تُلصق بجبرئيل أو إسرافيل أو غيرهما لمجرد اشتهار صورة في كتاب مصور.

وتضيف خطبة الأشباح من نهج البلاغة إلى هذا المشهد وصفاً لتنوع صور الملائكة وتفاوت أقدارهم، ثم تصل ذلك مباشرة بأمانتهم على الوحي. [٢] فالتفاوت في الخلقة لا يعرض بوصفه تفضيلاً في الاستقلال عن الله؛ إذ تنفي الخطبة عنهم ادعاء الخلق معه. هكذا يجتمع اتساع الصورة مع وضوح العبودية، ويكون الوصف مدخلاً إلى معرفة الصانع والعمل الذي أثنى عليهم عليه.

ويستحق هذا الانتقال في الخطبة التأمل: تبدأ بصور وأجنحة، ثم تتحدث عن الأمانة والسكينة والتوحيد. فحقيقة التعريف بالملك لا تستكمل بمجرد تخيل هيئته؛ إنما يضيء عمله وموقفه من أمر الله معنى تلك الهيئة. وفي قراءة صور الملائكة التي تصاحب قصص الأنبياء، يحسن أن نحتفظ بهذا الترتيب: نقرأ ما وصفه النص، ثم نتابع الرسالة التي جاء المبعوث لأدائها.

[٢] نهج البلاغة، خطبة الأشباح، رقم ٩١ في الترقيم المعتمد هنا، مقطع «ومنها في صفة الملائكة»، ابتداء وصف اختلاف صورهم وأقدارهم. ترد الخطبة برقم ٩٠ في بعض الطبعات؛ ويرجع إلى اسمها ومطلع المقطع عند اختلاف الترقيم. [١] الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرب، فقرة قبائل الملائكة.

الفصل ٤: عباد مكرمون وطاعة الملائكة

يعرف القرآن الملائكة من داخل علاقتهم بالله، قبل أن يفتح الحديث عن أشكالهم وأعمالهم. فهم عباد، وكرامتهم لا ترفعهم إلى الألوهية، وقربهم لا يجعلهم يسبقون أمره.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ٢٦ ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ ٢٧ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ ٢٨

سورة الأنبياء، الآيات ٢٦-٢٨

يرد هذا البيان في سياق رد نسبة الولد إلى الله. فالعبودية هنا أصل عقدي يفسر ما بعدها: لا استقلال في القول، ولا عمل خارج الأمر، ولا شفاعاة إلا ضمن الإذن والرضا. ومن الخطأ أن تأخذ خبراً عن قوة ملك أو قربه، ثم تفصل القوة والقرب عن هذا الأصل.

ويؤكد القرآن في وصف ملائكة العذاب طاعتهم لما يأمرهم به الله. إن تنفيذ العقوبة العادلة لا يجعلهم أهل قسوة اعتبارية، كما أن حمل البشارة لا يجعلهم مصدر رحمة مستقلاً. تتحدد أفعالهم بالوظيفة التي جعلها الله لهم. تنبني من هنا مناقشة عصمة الملائكة. فإذا وردت رواية يظهر منها تأخر ملك أو سلب مقامه، فلا يصح أن نتجاهل أصل الطاعة القرآني، ولا أن نختار تفسيراً مريحاً من غير حجة. ندرس سند الخبر أولاً، ثم لغته، ثم إمكان فهمه بما لا يصادم المحكم. وسيأتي مثال ذلك في خبر فطرس. وهكذا يكون احترام الرواية واحترام القرآن عملاً واحداً هو حفظ مراتب الدليل.

ويمتد وصف الطاعة إلى دوام العبادة، حيث يقابل القرآن استكبار الإنسان بعبادة من عند الله:

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ^ج وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ١٩ ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ٢٠

سورة الأنبياء، الآيات ١٩-٢٠

لا تحمل هذه العبادة معنى حاجة الله إليها؛ فهو الغني عن خلقه. إنما تصف حال الملائكة: لا يستكبرون، ولا يستحسرون، ولا يفترون. وتتجاوز هذه الألفاظ لتزيل تصور العبادة التي تبدأ بإقبال ثم تنقلب إلى ضجر أو منازعة.

وعلى هذا الأساس لا تساوي كرامة الملك امتلاكه حق التصرف من نفسه. جبرئيل أمين على ما يحمل، وملك الموت موكل بعمل، وخزنة الجنة يستقبلون أهلها بإذن ربهم. ليست وظائفهم أقاليم متنافسة في الملك، بل أعمالاً يجمعها أصل واحد. وهذا هو المعنى الذي يحفظ التوحيد حين تتكاثر الأسماء في صفحات الكتاب: اختلاف الأسماء لا يكثر الآلهة، واختلاف الأعمال لا يقسم سلطان الله.

وتأتي شهادة الملائكة في سياق إعلان التوحيد والقسط:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ^ج لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١٨

سورة آل عمران، الآية ١٨

فهم يشهدون بوحدانية الله، ولا يصح أن يجعلوا موضوعاً لعبادة تنقض ما يشهدون به. ولهذا ينفي القرآن أن يكون أمر النبي الصحيح دعوة إلى تأليه الملائكة أو الأنبياء:

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ٨٠

سورة آل عمران، الآية ٨٠

وتظهر براءتهم من عبادة المشركين لهم في مشهد المساءلة يوم الحشر:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ٤٠ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ٤١

سورة سبأ، الآيات ٤٠-٤١

ليس جوابهم إقراراً بسلطان مستقل أو رضا بما صنع العابدون، بل تنزيه لله وولاء له وبراءة من الدعوى. وتتكامل هذه المواضع مع سجودهم وخشيتهم:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ٤٩ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ٥٠

سورة النحل، الآيات ٤٩-٥٠

ومن الخطأ كذلك أن تُنسب إليهم الأنوثة اعتماداً على خيال بشري، فقد واجه القرآن تلك الدعوى بالسؤال عن الدليل والشهادة على الخلق:

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمُ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ ٤٠

سورة الإسراء، الآية ٤٠

﴿فَاسْتَفْتِمُ الرِّبَّكَ الْبَنَاتِ وَلَهُمُ الْبُنُونَ﴾ ١٤٩ ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ ١٥٠ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهُمْ لَيَقُولُونَ﴾ ١٥١ ﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ١٥٢ ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ ١٥٣

سورة الصافات، الآيات ١٤٩-١٥٣

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ ١٩

سورة الزخرف، الآية ١٩

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنْثَى﴾ ٢٧ ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ ٢٨

سورة النجم، الآيات ٢٧-٢٨

يرفض السياق تسمية لا تقوم على علم، ولا يتيح لنا استبدالها بصورة جنسية أخرى نختارها للملائكة. والمقصود هنا حفظ ما أخبر به الوحي، لا وصف تناسل أو أجسام لم يصفها النص. وبهذا تتصل طاعتهم بالتوحيد وبأمانة القول عنهم؛ فالخطأ لا يقع في عبادتهم وحدها، بل قد يبدأ من شهادة يطلقها الإنسان بلا علم.

وفي خطبة الأشباح يتسع وصف الطاعة ليشمل صفاء العلاقة بين الملائكة: فلا تحاسد يفرقهم، ولا تنازع يمزق وجهتهم، ولا إعجاب يحملهم على استعظام أعمالهم. [١] هذه صورة لعبادة لا تستنزفها المنافسة على المنزلة. وكلما طال عملهم ازداد تعظيمهم لربهم، فلم تتحول كثرة العبادة إلى شعور بالاستغناء عنه.

وتجمع الخطبة في وصفهم بين المحبة والخشية والرجاء. وليست هذه المعاني متناقضة؛ فالمعرفة التي تقربهم من الله تزيدهم إدراكاً لعظمته، والقرب لا يحو الخشوع. ومن هذا الاجتماع نفهم أن دوام التسبيح ليس حركة خالية من المعنى، بل تعبير عن معرفة ومحبة وعبودية. ويجد الإنسان في هذا الوصف ما يصلح به عبادته: أن يحفظها من المنّ والعجب، وأن يجعل ما يعرفه سبباً للتواضع.

ويكتمل وصف العبادة بما تختم به سورة الأعراف وما تقرره سورة فصلت:

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ٢٠٦

سورة الأعراف - ٢٠٦

﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ ٣٨

سورة فصلت - ٣٨

يجتمع السجود والتسبيح مع نفي الاستكبار والسأم، فلا تكون منزلتهم ذريعة إلى الاستغناء عن العبادة. وفي سورة الأنبياء يرد الحكم على دعوى الألوهية لو قيلت:

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلِكُفْرِهِ جَهَنَّمَ^ج كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ٢٩

سورة الأنبياء - ٢٩

هذا شرط يقرر سلطان الله وعدله، ولا يخبر بوقوع ادعاء الألوهية من ملك بعينه. ومن تمام القراءة ألا نحول الجملة الشرطية إلى حكاية عن معصية لم يذكرها النص.

[١] نهج البلاغة، خطبة الأشباح، رقم ٩١، مقطع صفة الملائكة، فقرات المعرفة والمحبة والخشية ونفي الإعجاب والتحاسد؛ العرض بالمعنى.

من مراجع الآيات في الفصل: الأنبياء ٢٦-٢٨؛ الأنبياء ١٩-٢٠؛ آل عمران ١٨؛ آل عمران ٨٠؛ سبأ ٤٠-٤١؛ النحل ٤٩-٥٠؛ الإسراء ٤٠؛ الصفات ١٤٩-١٥٣؛ الزخرف ١٩؛ النجم ٢٧-٢٨.

الفصل ٥: ماذا يعلم الملائكة

في مشهد تعليم آدم يظهر الفرق بين العلم الذي يمنحه الله لخلقه وبين إحاطته سبحانه. لم يُخف الملائكة حدود علمهم، ولم يصنعوا جواباً يحفظ لهم صورة المعرفة.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ٣٢

سورة البقرة، الآية ٣٢

هذا الإقرار ليس نقصاً أخلاقياً، بل أمانة في الموقف. فقد علموا ما علمهم الله، ولم يجعلوا قربهم منه دعوى للعلم بكل ما يعلم. ولذلك لا يجوز أن ننقل صفة العلم الإلهي المطلق إلى جبرئيل أو غيره من الملائكة، مهما عظم مقامه.

وتصف آيات الأنبياء إحاطة الله بما بين أيديهم وما خلفهم. ويستطيع الملك أن ينقل خبراً غيبياً أعلمه، من غير أن يكون الغيب ملكاً ذاتياً له. فالخبر المنقول يحتاج إلى مصدر، والعلم الممنوح يبقى هبة لا استقلالاً.

ولهذا الفرق أثر في قراءة الروايات. قد يخبر ملك عن واقعة مقبلة، أو يسأل، أو ينتظر أمراً. لا تناقض بين هذه الأحوال إذا كانت المعرفة مرتبطة بما يعلمه الله. إنما ينشأ التناقض حين نفرض ابتداءً إحاطة لم يثبتها النص ثم نحاكم بقية الأخبار إليها.

ويتعلم الإنسان من هذا الموقف أدباً قريباً من حياته: أن يقول ما يعرفه، ويحدد مصدره، ويقف عند ما لا يعلم. فلا يكون التواضع العلمي عائقاً عن الإيمان، بل صورة من صور الأمانة التي نقرأها في خطاب الملائكة.

وعند النظر إلى أخبار المستقبل ينبغي التفريق بين ثلاثة أمور: علم الله الذي لا يسبقه جهل، وتعليمه رسولاً أو ملكاً خبراً معيناً، ووصول ذلك الخبر إلينا بطريق النقل. فإذا صح أن ملكاً حمل بشارة بإسحاق مثلاً، فقد أخبر بما أرسل به؛ ولم يصبح بذلك عالماً بكل مولود سيأتي إلى الدنيا.

ويتضح في خطاب الملائكة لإبراهيم أن معرفتهم بوظيفته بعثتهم تزيل خوفه وتبين وجه حضورهم. لكن القرآن لا يحكي عنهم استعراضاً لكل أسرار العالم. العلم في تلك الواقعة يؤدي عملاً محدداً: البشارة وبيان الوجهة. وبذلك تتجه القراءة إلى المعنى الذي قاله النص، لا إلى منظومة غيبية نفترضها وراء كل اسم.

وللأمانة العلمية في هذا الباب وجه آخر: ليس كل ما يعرفه الملك لازماً أن يعرفه الإنسان. قد يؤمر بعمل لا نخطط بمقدماته، وقد يرد لنا منه قدر تقوم به الحجة. فترك التفصيل المسكوت عنه لا يُنقص الخبر المعلوم، بل يمنع أن تختلط المعرفة الممنوحة بالخيال الذي نصنعه نحن.

وترد في ختام وصف الملائكة من خطبة الأشباح عبارة تصل العلم بطول الطاعة: «يَزِدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً وَتَزِدَادُ عِرَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَمًا».[١] في هذا الوصف حركة ازدياد، فلا تكون معرفتهم مساوية لعلم الله الذي لا يسبقه جهل ولا يلحقه اكتساب. الملائكة مخلوقون يتلقون ويعرفون، ويشهدون في عبادتهم مزيداً من عظمة خالقهم.

وبين الإقرار الوارد في قصة آدم وبين هذا الازدياد صلة واضحة: الاعتراف بحدود العلم لا يعطل المعرفة، وإنما يضعها في موضعها الصحيح. حين يقر المخلوق بأن الله علّمه، يفتح باب التلقي من غير ادعاء إحاطة. ويقدم الكتاب هذين الموضوعين معاً ليبقى الفرق ظاهراً بين جهل الإنسان بتفاصيل علم الملائكة، وبين أصل كون علمهم ممنوحاً من الله ومتصلاً بما شاء تعليمهم.

[١] نهج البلاغة، خطبة الأشباح، رقم ٩١، ختام مقطع صفة الملائكة، قبل الانتقال إلى صفة الأرض ودحوها. من مراجع الآيات في الفصل: البقرة ٣٢.

الفصل ٦: مراتب الملائكة ومقاماتهم

لا يقدم القرآن عالم الملائكة جماعة بلا وظائف أو مقامات. فالرسالة والحفظ والكتابة والحمل والتسبيح أوصاف مختلفة، وقد تتعدد الأعمال من غير أن يلزمنا ذلك بإنشاء خريطة شاملة للرتب.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ ١٦٤ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ ١٦٥ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ ١٦٦

سورة الصافات، الآيات ١٦٤-١٦٦

تقرأ هذه الآيات، في سياق تفسيرها بالملائكة، على أن لكل واحد مقامه، وأنهم مصطفون مسبحون. وليس المقام المعلوم سلماً عددياً نستطيع إعادة بنائه بمجرد جمع الألقاب. قد يكون الوصف متعلقاً بالعمل أو القرب أو المشهد، ويحتاج الربط بين الأوصاف إلى نص.

وفي الخطبة الأولى من نهج البلاغة عرض لأصناف في العبادة، وأمناء للوحي، وحفظة للعباد، وسدنة للجنان. [١] يشرح هذا التنوع سعة الخدمة والطاعة. ولا يعني أن كل اسم جماعي يرد في كتاب آخر يشكل مرتبة أعلى أو أدنى بالضرورة.

وكذلك الأعداد: فإذا ذكرت الآية عدداً في مدد معركة، أو في خزنة النار، لم يصبح ذلك عدد جميع الملائكة. يقول القرآن في سياق الحديث عن خزنة النار إن جنود الله لا يعلمها إلا هو، وسيأتي نص الآية كاملاً في موضعه. ومنهج الجمع الصحيح يحفظ لكل عدد موضوعه، ولكل وصف حدوده.

ويقدم ذكر الصف صورة للنظام في العبادة: لكل قائم موضع، ولكل مأمور امتثال، من غير فوضى أو مزاحمة على السلطان. ولا تعني هذه الصورة أن للملائكة مجلساً اجتماعياً يشبه مجالس البشر؛ إنما تقرب إلينا معنى الانتظام ضمن حدود اللفظ.

وقد تجتمع في الملك الواحد أوصاف متعددة. يكون جبرئيل رسولاً وأميناً ومقرباً، ولا يلزم من كل وصف أن يكون اسماً لملك جديد. وكذلك جماعة الحفظة قد توصف من جهة عملها، ثم يرد في نص آخر وصف الكتابة أو التلقي. لا نقرر اتحاد جميع الجماعات، لكننا لا نحول اختلاف العبارة وحده إلى تكاثر في عددها.

ويعين هذا الضابط على قراءة المعجم في نهاية الكتاب. فالأسماء مدخل إلى التعرف، والألقاب مدخل إلى فهم العمل، والأعداد تظل مقيدة بالمشهد الذي وردت فيه. أما مقدار مراتب القرب عند الله فليس مما نستخرجه من ترتيب الأسماء في قائمة، أو من طول الخبر الذي ورد فيه اسم دون آخر.

وفي سورة الزخرف يقرر القرآن قدرة الله على خلق يغير ما يعرفه الناس:

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ ٦٠

سورة الزخرف، الآية ٦٠

يأتي هذا البيان في سياق القدرة والاحتجاج، ولا يقول إن بشراً بعينه صار ملكاً، ولا يضع لنا قانوناً لتحول الإنسان إلى الملائكة. فهو يرد عالم الخلق كله إلى المشيئة الإلهية، ويمنع أن نعامل وجودنا المألوف بوصفه الحد الوحيد لما يقدر عليه الله.

وتصف خطبة الأشباح عمارة السماوات بالملائكة، وتذكر المسبحين في حظائر القدس والحجب، ثم تعرض تفاوت الصور والأقدار وتنوع مشاهد العبادة. [٢] وليس التنوع فيها تفككاً؛ فالوجهة واحدة، والأمانة واحدة في أصل نسبتها إلى أمر الله، وإن اختلف موضع كل ملك وما كلف به. هذا المعنى يفسر كيف يجتمع في عالمهم اختلاف الوظائف مع انتظام الطاعة.

وتختتم الخطبة المشهد بذكر الساجد والساعي في الخدمة. فالعبادة في هذا الوصف تسع الإقامة على التعظيم والمسارة في أداء الأمر، ولا تنحصر في صورة واحدة. ومن ثم يقرأ القارئ مراتب الملائكة مع أعمالهم: حامل للوحي، ومسبح، وحافظ، ومبلغ، وقائم بما أمر به. أما تحويل هذا التنوع إلى سلم تفصيلي ذي أسماء وأعداد ثابتة لكل طبقة، فيحتاج إلى نص يثبت ذلك الترتيب بعينه.

[٢] نهج البلاغة، خطبة الأشباح، رقم ٩١، صدر مقطع صفة الملائكة وخاتمته؛ وانظر صلة الوصف بالخطبة الأولى.

[١] نهج البلاغة، الخطبة الأولى، أصناف الملائكة. مرجع الآيات: الصفات ١٦٤-١٦٦.

الفصل ٧: الروح وروح القدس والروح الأمين

كلمة الروح من أكثر الألفاظ التي تحتاج إلى حفظ سياقها. فقد ترد في الكلام عن الإنسان، وفي الوحي، وفي التأييد، وفي مشاهد التنزل. ولا يصح أن نختار معنى واحداً ثم نحملة على جميع المواضع.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٨٥

سورة الإسراء، الآية ٨٥

يدعو ختام الآية إلى التواضع أمام مقدار العلم المتاح. والاقتراب على اسم الآية لا يحل كل مسائل الروح، كما أن كثرة استعمال الكلمة لا تعني وحدة المقصود في جميع السياقات. ففي الشعراء يرد الروح الأمين في نزول القرآن، وفي القدر تعطف الآية الروح على الملائكة.

ويروي الكليني عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام، في تفسير الروح الوارد في الشورى، أنه خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله يخبره ويسدده، وهو مع الأئمة من بعده. [١] هذا عرض

للخبر بالمعنى؛ وقد نقلت النسخة الحديثة التي روجعت حكم المجلسي عليه بالصحة في مرآة العقول. ونسبة الحكم إليه أدق من إطلاق صحة كل ما ورد في الباب، ففيه أخبار أخرى تختلف أحكامها.

ويقتضي ذلك ألا نجعل كل ورود للروح اسماً آخر لجبرئيل، وألا ننكر في المقابل تفسير الروح الأمين به حيث يدل الدليل. المعنى يتحدد بالسياق وبالرواية المعينة. ولهذا أدرجت مداخل الروح في قسم المصطلحات والألقاب، ولم أضفها آلياً إلى عدد الأسماء الشخصية للملائكة.

ويتجلى تنوع استعمال اللفظ في آية أخرى:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا^ج مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٥٢

سورة الشورى، الآية ٥٢

يرتبط الروح هنا بالأمر والوحي والنور والهداية في سياق واحد. وقد تناولت الرواية الإمامية هذا الموضع بتفسير مخصوص، بينما يشرح السياق القرآني وظيفة ما أوحى إلى النبي في إحياء الهداية. لا يصح إسقاط إحدى طبقتي القراءة بإغفال الأخرى، ولا يصح تقديم تفسير روائي كأنه بدل من ألفاظ الآية.

وفي هذا الكتاب نفصل بين الروح الذي يبحث في أبواب تسديد النبي والأئمة، وبين روح الإنسان الذي تفارق أحواله الحياة الدنيوية، وبين الألقاب المتصلة بنزول الوحي. هذا الفصل ليس حكماً بأن كل استعمال لا صلة له بالآخر، بل حماية من نتيجة تسبق البحث. ومن هنا لا ندخل «الروح» في عدد الأسماء الشخصية ما لم يعين المصدر ذاتاً ويبين المراد.

ويتسع استعمال «الروح» خارج معنى الاسم الشخصي أيضاً، كما في وصف عيسى وفي تأييد المؤمنين:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَى خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ١٧١

سورة النساء — ١٧١

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٢٢

سورة المجادلة - ٢٢

عيسى في الآية رسول الله وكلمته وروح منه، وليس ملكاً، ولا تعني الإضافة أنه جزء من الله. وفي آية المجادلة يتصل التأيد بالإيمان والثبات. لذلك لا يدخل كل ورود للفظ الروح في إحصاء الملائكة، بل يحفظ كل استعمال سياقه قبل النظر في تفسيره.

[١] الكليني، الكافي، كتاب الحجة، باب الروح التي يسددها الله بها الأئمة، الحديث ١؛ المجلسي، مرآة العقول، ج ٣، ص ١٦٩، بحسب الإحالة المنقولة مع النص الرقي.

الفصل ٨: الملائكة والجن وإبليس

أفضى وقوع إبليس في مشهد السجود إلى تصورات تجعله ملكاً ثم تحول إلى شيطان. لكن القرآن يسمي جنسه في آية لا يجوز تجاوزها عند بناء القصة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ ٥٠

سورة الكهف، الآية ٥٠

تصرّح الآية بأنه كان من الجن، وتربط خروجه بالفسق عن أمر ربه. ووجوده في جماعة خطبت أو في مقام عبادة لا يغير هذا البيان. كذلك لا يجوز أن ننسب إلى جميع الجن فعل إبليس، فالقرآن يتحدث عن اختلاف أحوالهم وإيمان بعضهم.

إن إبليس شخصية في امتحان الطاعة، لا اسم في معجم الملائكة. وسنذكره في فهرس الشخصيات والأحداث؛ لأن صلته بقصتهم ثابتة، مع الفصل بين الصلة والانتماء. ولا يؤسس رفضه فكرة أن الملائكة أطاعوا بعد أن تمرد بعض جنسهم ما لم يدل دليل مستقل على ذلك.

وتحتاج الأخبار عن عبادته السابقة ومدتها ومقامه إلى تحقيق مفرد. يكفي في الدرس الذي يعرضه القرآن أن معرفة الأمر لم تمنعه من الكبر. أما تفاصيل الزمن وأسماء المراتب فتظل على قدر مستندها. ويتميز هذه العوالم نصل إلى باب أعمال الملائكة من غير أن نحمل إليه أخطاء التصنيف منذ البداية.

وللتمييز بين الملائكة والجن شاهد يتصل بمادة الخلق:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ ١٤ ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ ١٥

سورة الرحمن، الآيات ١٤-١٥

فالايتان يتحدثان عن الإنسان والجنان، ولا تذكران مادة خلق الملائكة. ومن ثم لا يصح ملء هذه المساحة بجعل كل كائن غير مرئي من جنس واحد. فالاستتار عن أعيننا صفة مشتركة من جهتنا نحن، وليس تعريفاً لحقيقة جميع من غاب عنا.

ويضيف مشهد إبليس فرقاً أخلاقياً في الواقعة المعينة: الملائكة امتثلوا، وهو أبى واستكبر. لكن المعنى لا يختزل في مقارنة المادة بالمادة، لأن حجته التي افتخر فيها بالنار هي نفسها موضع الرفض. لا يُستحق القرب من الله بنوع العنصر، وإنما بما يريد الله من عبده. وتلك نقطة ستعود معنا في قصة آدم، حين يقابل التعليم الإلهي قياس إبليس المتكبر.

من مراجع الآيات في الفصل: الكهف ٥٠؛ الرحمن ١٤-١٥.

الباب الثاني

الملائكة في السماوات وتدير الخلق

الفصل ٩: حملة العرش والحافون به

يصل الحديث عن حملة العرش في القرآن إلى حياة المؤمنين من باب الدعاء لهم. فالمشهد الذي قد يتخيله الإنسان بعيداً عنه يحمل استغفاراً ورحمة ورجاء في النجاة.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ﴾ ٧ ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي

وَعَدَّتْهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ٩

سورة غافر، الآيات ٧-٩

تربط الآيات بين تسبيح الله والإيمان به والاستغفار للذين آمنوا. ويشمل الدعاء الآباء والأزواج والذرية الصالحة؛ فليس موضوعه فضول معرفة الحجم والهيئة، بل اتساع رحمة الله وطلب الوقاية من السيئات والعذاب. ومن هنا ينبغي أن نقرأ أوصاف العالم العلوي في ضوء غايتها الدينية، دون إهمال ما يثبت لفظها.

أما حمل العرش فلا يقتضي أن الله محمول أو محتاج إلى حامل. فالملائكة خلقه، والعرش من خلقه، وتنزيهه عن الحاجة أصل لا تنقضه صورة في الذهن. وتفاصيل معنى العرش والحمل مدار بحث كلامي وتفسيري، ولا يحسمها تحويل اللفظ إلى مشهد عرش بشري وملك جالس عليه.

ويبدأ الدعاء الثالث من الصحيفة بالصلاة على حملة العرش ووصف دوام عبادتهم. [١] يجتمع في هذا النص التعظيم لهم بعبوديتهم لا بتأليهم. ويستطيع القارئ أن يخرج من الفصل بمعنى قريب: أن دعاء المؤمن لأخيه ليس فعلاً صغيراً في ميزان المعنى، وأن الاهتمام بصلاح الآخرين من صفات عباد الله المكرمين.

ويتدرج دعاء حملة العرش من طلب المغفرة إلى الوقاية من العذاب، ثم دخول جنات عدن، ثم حفظ الصلوات بأهل الصلاح، ثم الوقاية من السيئات. لا يطلبون للمؤمنين مجرد النجاة الفردية، بل يسألون لهم تمام الرحمة وحسن العاقبة واجتماع من صلح من أهلهم. والجامع بين هذه المطالب كلها أنها موجهة إلى الله وحده.

ومن الأسماء الواردة في أخبار عظمة العرش «حزقائيل». يورد الفتال النيسابوري في روضة الواعظين خبراً منسوباً إلى الإمام جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام، فيه مَلَك بهذا الاسم وأجنحة كثيرة ومحاولة طيران لا تبلغ غاية العرش. [٢] يُعرض الخبر في موضعه من الكتاب دون سلسلة نقل كاملة من المؤلف إلى الإمام؛ فيُثبت الاسم بوصفه وارداً في هذا الخبر، ولا تُجعل أعدداده مقياساً كونياً مقطوعاً به.

ولا نخلط حزقائيل بدردائيل الوارد في خبر مولد الحسين، وإن اشتركت بعض الألفاظ في الطيران وعظم الأجنحة. فالاشتراك في موضوع العظمة لا يكفي لمحو اختلاف الاسم أو المصدر. وتثبت هذه الملاحظة فائدة المعجم: أن يحفظ لكل خبر هويته قبل أن يبحث في إمكان الجمع بين الأخبار.

[١] الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، صدر الدعاء.

[٢] الفتال النيسابوري، روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، ج ١، مجلس في العجائب التي تدل على عظمة الله تعالى، الخبر ٧، ص ١٢٩-١٣٠ في النسخة المراجعة.

الفصل ١٠: سكان السماوات والبيت المعمور

يرد البيت المعمور في قسم قرآني موجز، بينما تعرض الروايات صلته بعبادة أهل السماء. ومن الضروري إبقاء الطبقتين واضحتين: الاسم القرآني ثابت، والتفاصيل تحتاج إلى مصادرها.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ ٤

سورة الطور، الآية ٤

لا تتضمن هذه الآية وحدها بيان موقع البيت أو عدد من يدخله، ولذلك لا ننسب تلك التفاصيل إليها. وفي الدعاء الثالث من الصحيفة ذكر للملائكة الطائفين بالبيت المعمور، إلى جانب سكان السماوات وأهل الأمانة على الرسالات. [١] وهو يثبت موضع هذا الوصف في النص الدعائي الذي نقرأه، دون أن يبيح تركيب خريطة فلكية للمكان.

تفتح العبادة السماوية معنى اتساع التسبيح. فالإنسان ليس العابد الوحيد، ولا تتوقف عظمة الله على معرفة البشر بها. وإذا رأى القارئ في الأخبار صفوفاً وسجوداً وطوافاً، فالأولى أن ينتبه إلى انتظام الطاعة وحضور التعظيم، مع ترك الكيفية على قدر ما بينه النص.

ولا يصح أن نطابق السماوات المذكورة في هذه الأخبار تلقائياً مع الكواكب أو المجرات أو طبقات الغلاف الجوي. هذه مصطلحات تختلف مجالاتها، والتطابق دعوى مستقلة تحتاج إلى برهان. وهنا يسير الكتاب مع النص كما هو، فلا يحول الغيب إلى خريطة علمية مصطنعة، ولا يحول الخبر الديني إلى صورة خالية من المعنى.

والبيت المعمور داخل هذا السياق موضع عبادة، لا اسماً آخر للملك. وهذه نقطة بسيطة لكنها تمنع خطأ شائعاً في القوائم التي تجمع الأعلام والمواضع والأوصاف من غير فصل. فالطائفون به ملائكة، أما البيت فموضع تعلق عملهم.

ويمكن للقارئ أن يلاحظ صلة المعنى بين طواف أهل الأرض بالبيت الحرام وما ورد عن عبادة أهل السماء: كلاهما حركة عبودية تتجه إلى أمر الله. إلا أن هذه الصلة لا توجب تماثل المكانين في المادة أو الأبعاد، ولا تجعل تحديد السماء التي يذكرها خبر ما أمراً مشاهداً بالتلسكوب.

وفي الدعاء الثالث يتسع المشهد من أهل البيت المعمور إلى سكان السماوات والأمناء على الرسالات. فتغدو العبادة أكثر من صورة حركة واحدة: تسبيح وطواف وأداء أمانة. ولا نعرف عن جميع هؤلاء أسماء أفرادهم، لكن غياب الاسم لا يجعل حضورهم في الكتاب أقل قيمة؛ فالقرآن نفسه يعلمنا كثيراً من خلال الجماعات التي عرّفها بالعمل.

ومن أخبار السماء ما حكاه القرآن على لسان الجن:

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَةً حَرًّا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ ٨ ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ^ط فَمَنْ يَسْمَعُ
الآن يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا﴾ ٩

سورة الجن، الآيات ٨-٩

يذكر النص الحرس والشهب، ويبين تغير الحال التي يتحدث عنها القائلون. ولا يسمي أفراد الحرس في هذه الآيتين، ولذلك يُبحث تعيينهم ووظائفهم في التفسير، ولا تُستخرج من لفظ «حرس» أسماء شخصية. والمهم في سياق الحكاية أن الاستماع إلى الغيب ليس مباحاً لكل من طلبه، وأن السماء ليست مجالاً مفتوحاً لادعاء العلم بما لم يؤذن به.

[١] الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، فقرتا سكان السماوات والطائفين بالبيت المعمور.

الفصل ١١: ملائكة المحب والمقربون والروحانيون

تحمل الأدعية أوصافاً لجماعات من الملائكة لا تقدّم لكل واحد منهم اسماً فردياً. ومن هذه الأوصاف الروحانيون وأهل الزلفة وحمال الغيب إلى الرسل. وهذه جماعات وأوصاف ينبغي تسجيلها دون أن يتحول كل تركيب لغوي إلى اسم شخصي.

يرد في الدعاء الثالث ذكر الروح الذي هو على ملائكة المحب، ثم ذكر الروح الذي هو من أمر الله. [١] ولا يكفي اختلاف العبارة لإثبات عدد محدد من الذوات، كما لا يكفي الاشتراك في كلمة الروح للجزم بأن المراد واحد في جميع المواضع. ثبت اللفظ، ونشرح وجه السؤال، ونمتنع عن ادعاء حسم لا يسنده بحث.

﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ^ج وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ
فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ ١٧٢

سورة النساء، الآية ١٧٢

تذكر الآية الملائكة المقربين في سياق نفي الاستنكاف عن العبادة. فالقرب لا يرفع العبودية، بل يظهر فيها. ولذلك لا نفهم الحجب على أنها ضرورة تحمي ذات الله من خلقه، أو أن المكان يحيط به. كل تفسير لهذه الأوصاف ينبغي أن يحفظ التنزيه.

وتكمن فائدة هذا الفصل في ترتيب المعرفة. اسم «الروحانيين» يُدرج في معجم الجماعات، و«المقربين» في الأوصاف والمقامات، أما الأسماء الفردية فتعالج في بابها. بهذه الطريقة لا نضاعف عدد الملائكة المسمين لمجرد تعدد صفاتهم، ولا نهمل ما ورد عن الجماعات لأن أفرادها لم يسموا.

ومن الألفاظ الروائية «الكروبيون». يورد المجلسي في أبواب الملائكة خبراً ينقله عن بصائر الدرجات، يربطهم بالخلق الأول وبمشهد تجلي الجبل لموسى. [٢] وفي الطريق المعروض السيارى، وفيه رفع إلى الإمام، فلا يصح تحويل الصورة الواردة فيه إلى حقيقة عقدية مجمع عليها. غير أن وجود هذا اللفظ يستحق التسجيل في معجم الجماعات، كي لا يُظن أنه اسم فرد أغفل.

وتساعد هذه النصوص أيضاً على الفصل بين الاستعمال الدعائي والاستعمال الفلسفي. فبعض المؤلفين يناقش الملائكة بلغة العقول والنفوس والمراتب، وبعضهم يشرح ألفاظ الدعاء، وبعضهم ينقل خبراً بسنده. ليست هذه الأنواع صفحات من نص واحد. وقد جمع المجلسي أقوالاً مختلفة، فلا يصبح كل قول أورده حديثاً عن أهل البيت.

لهذا يكون «ملائكة الحجب» وصفاً محفوظاً في نص الدعاء، ويكون تفصيل معنى الحجب بحثاً آخر. والقراءة الآمنة تتيح للقارئ أن يدرك غنى التراث من غير أن تضيع الحدود بين الرواية وشرحها وبين الاجتهاد الكلامي والبيان القرآني.

ويذكر القرآن الملائكة الأعلى في موضعين من سياقين مختلفين:

﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ ٨

سورة الصافات، الآية ٨

﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ٦٩

سورة ص، الآية ٦٩

تصل الأولى بمنع استراق السمع، وتتصل الثانية بتعليم النبي ما لم يكن له به علم من قبل الوحي. فتعود القضية إلى أمانة المصدر: ما يعلمه الرسول من خبر هذا الملائة إنما يعلمه بما أوحى الله، وليس بادعاء مشاهدة سابقة مستقلة. ولهذا لا نأخذ لفظ «الملائة الأعلى» اسماً للملك، بل وصفاً لجماعة ومقام بحسب سياقه وتفسيره.

وتجمع خطبة الأشباح بين ذكر الحجب وبين زجل التسبيح، فتجعل المشهد مملوءاً بالعبادة، ثم تتحدث عن حدود إدراك الأبصار لما وراءه. [٣] وحين تُقرأ هذه الفقرة مع الصلاة على ملائكة الحجب والروحانيين في الصحيفة السجادية، يظهر اشتراك النصين في تعظيم عالم لا تحيط به حواس الإنسان، مع إبقاء جميع أهله في مقام العبودية.

إن لغة الحجب والقرب والمجد ترد هنا ضمن خطاب توحيدي. ومعناها في بناء الحكاية أن للقرب كرامة وأن للمخلوق حداً، وأن معرفة بعض أسماء الجماعات لا تكشف لنا كل كيفية وجودها. ولهذا ينتقل النظر من سؤال الصورة وحده إلى سؤال المعنى الذي يقدمه النص: عبادة متصلة، وأمانة محفوظة، وخشوع يزداد مع المعرفة.

[٣] نهج البلاغة، خطبة الأشباح، رقم ٩١، مطلع مقطع صفة الملائكة، في حظائر القدس وسترات الحجب وسراقات المجد؛ العرض بالمعنى.

[١] الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، فقرات الروح وملائكة الحجب والروحانيين.

[٢] بحار الأنوار، ج ٥٦، باب ٢٣، ص ١٨٤، الحديث ٢٦، نقلاً عن بصائر الدرجات والسرائر؛ الطريق المذكور مرفوع.

الفصل ١٢: ميكائيل عليه السلام والاسم والمقام

يظهر اسم ميكال في القرآن مقترناً بجبرئيل في رد عداوة الوحي وأهله. وفي هذا الاقتران بيان لمقامه، دون أن تسرد الآية تفصيل مهماته.

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ ٩٨

سورة البقرة، الآية ٩٨

الصيغة القرآنية في هذه القراءة «ميكال»، وتشتهر في كتب الحديث والدعاء صيغة «ميكائيل». وتُحفظ الصيغتان في المعجم تحت مدخل واحد مع بيان المصدر، فلا نعدهما شخصيتين. ومن المهم أن يبدأ التعريف به بما نصت عليه الآية، لا بقائمة وظائف لا نعرف مستند كل واحدة منها.

وفي الصحيفة السجادية يوصف ميكائيل بالجاه والمكان الرفيع من طاعة الله. [١] يربط الدعاء المكانة بالطاعة، فيحفظ المحور الذي تقدمت الإشارة إليه: التعظيم الصحيح للملائكة تعظيم لعباد مكرمين، لا اتخاذ وسطاء مستقلين عن ربهم.

أما إسناد الأرزاق والمطر والنبات إليه في العرض التراثي، فصدره مادة أخرى غير آية البقرة وعبارة الصحيفة الموجزة. ومن المفيد أن نقرأ هذا التخصيص مع أخبار جماعات الملائكة الموكلين بظواهر الطبيعة، لنميز مكانة ميكائيل من تفصيل الوظائف المنسوبة إليه.

ولا تعرّف آية البقرة ميكايل منفصلاً عن أصل الإيمان بالرسالة. فهي تجمع العداوة لله وملائكته ورسله وجبريل وميكايل في إنكار موقف يقبل بعض وجوه الوحي ويرفض بعضاً. ومن ثم لا يصح أن تتحول المحبة لاسم ملك إلى ذريعة لرفض ملك آخر يؤدي أمر الرب نفسه.

وينقل المجلسي في شرح الدعاء الثالث أن ميكائيل رئيس الملائكة الموكلين بأرزاق الخلق، ويذكر ملائكة السحب والرعود والبروق والرياح والأمطار. [٢] هذه إحالة إلى بيان المجلسي وصيغته «روي»، وليست حديثاً مسنداً كاملاً في هذا الموضع. لذلك يمكن ذكر هذا التخصيص على أنه مشهور في العرض التراثي ومذكور في الشرح، مع إبقاء مرتبته دون النص القرآني الصريح.

أما الرزق فلا ينحصر في الطعام الذي يسقط مع المطر أو ينبت بعده. الحديث عن التوكل والرزق يظل مرتبطاً بعمل الإنسان ومسؤوليته، ولا يبيح له أن يهمل زرعه أو يتخلى عن حق من يعولهم. إن ذكر الملائكة المأمورين يضيف معنى التدبير الإلهي إلى الأسباب، ولا يحو الأسباب من الحياة.

[١] الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، فقرة ميكائيل.

[٢] المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٦، باب ٢٣، شرح الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية، ص ٢٢١ وما بعدها، فقرة ميكائيل. روجع النص أيضاً في ترتيب المجلد ٥٩.

الفصل ١٣: ملائكة المطر والسحاب والرياح والجبال

يمتزج في دعاء الإمام السجاد عليه السلام ذكر الملائكة بظواهر يراها الإنسان حوله: المطر والسحاب والرياح والجبال والمياه. ويسوق الدعاء جماعات موكلة بهذه الشؤون، فيربط العالم المنظور بمعنى الطاعة للأمر الإلهي. [١]

لكن هذا الربط لا يعطينا إذناً بإلغاء وصف الظواهر الطبيعية. فعرفة أسباب تكاثف الماء أو حركة الرياح، في مجالها التجريبي، ليست حكماً على إمكان وجود تدير غيبي. وبالمثل لا يكفي ورود عمل ملائكي في دعاء لإثبات تفسير تفصيلي لآلية فيزيائية بعينها. لكل بحث سؤاله وأدله.

﴿وَيَسِّحُ الرِّعْدُ بِمُحْمَدٍ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ ١٣

سورة الرعد، الآية ١٣

تجمع الآية تسبيح الرعد والملائكة والخوف من الله، ولا تعرض معادلة علمية للرعد. ويمكن للقارئ أن يتأمل دلالة المشهد دون أن يفرض على النص سؤالاً لم يسق لجوابه. وتصبح معرفتنا بالملائكة سبباً للتفكر في سلطان الله، لا بديلاً عن دراسة الطبيعة أو اتخاذ أسباب السلامة.

ويحفظ المعجم الجماعي تعبيرات خزان المطر وزواجر السحاب والموكلين بالجلال كما وردت، دون اختراع أسماء أفراد لها. إن الوصف الوظيفي جزء مهم من المادة، ولكنه لا يدل وحده على أن ملكاً واحداً يتولى كل مثال من أمثلة الظاهرة في العالم.

والجامع بين هذه الأعمال في الدعاء هو القيام بما وكل إلى الملائكة، من غير ادعاء ملكية مستقلة للمطر أو الريح. حين يتلو القارئ هذه الفقرات يدعو الله بالصلاة على عباده الذين يؤدون أمره؛ فتظل جهة الدعاء واضحة، ويظل الكون كله داخل معنى الافتقار إلى خالقه.

ويظهر في ألفاظ الصحيفة تفصيل العمل: خزان للمطر، وزواجر للسحاب، ومشيعون للثلج والبرد. وهو تنوع يجعل الماء القادم إلى الأرض داخل معنى العناية والتقدير. لكن الدعاء لا يذكر هنا أسماء جميع القائمين بهذه الأعمال، فلا نضع أسماء شخصية من قوائم أخرى في فراغ سكت عنه النص.

وحين يقرأ المؤمن الرعد بوصفه مسبحاً، لا تكون الاستجابة المطلوبة تعطيل السؤال عن الطبيعة، بل النظر إلى الكون على أنه خلق يتجاوز منفعة الإنسان العاجلة. فالمطر الذي ينتظره الزارع، والريح التي يخشاها المسافر، يشتركان في أنهما ليسا خارج سلطان الله. ومن هذه الصلة يفهم الدعاء، ويستقيم الأخذ بأسباب السلامة والعمل.

[١] الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، فقرات المطر والسحاب والرياح والجلال والمياه. العرض بالمعنى.

الفصل ١٤: رسل الأمر الإلهي

يعرض القرآن الملائكة رسلاً، ويجعل هذا الاصطفاء تابعاً لله. فالرسالة قد تكون وحيًا، وقد تحمل بشارة أو أمرًا يتعلق بواقعة من الوقائع، وتتحدد وظيفتها بما دل عليه النص.

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ٧٥

سورة الحج، الآية ٧٥

لا يملك الرسول الملكي أن يستقل عن مرسله، كما لا تتحول وساطته إلى نقص في قدرة الله. فالقدرة على فعل الشيء مباشرة لا تمنع خلق أسباب ومهمات يقوم بها عباد مطيعون. وإنما الخطأ أن نضع هذه الأسباب في مقام المنافسة مع خالقها.

﴿وَمَا تَنْزِيلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ٦٤

سورة مريم، الآية ٦٤

يبين هذا الخطاب ارتباط التّنزل بالأمر. وقد يكون انتظار الأمر جزءًا من أمانة الرسالة، فلا يصح أن نفسره عجزًا أو نسيانًا من الله. ويساعد هذا المعنى على قراءة مشاهد الأنبياء المقبلة؛ إذ لا يدخل الرسل على إبراهيم ولوط أو يحملون الوحي إلى النبي تصرفًا من عند أنفسهم.

والدعاء لا يناقض هذا النظام. يدعو العبد الله، ويأخذ بالأسباب التي يعرفها، ويترك كيفية الاستجابة إلى حكمته. ولا يستخرج من وظائف الملائكة وصفات لاستحضارهم أو إرغامهم على العمل. فالعلاقة التي يعلّمها النص علاقة عبودية وتوكل، ويبدأ معها باب الرسائل البشرية من أساس واضح.

وتكتمل صورة الرسول الملك من ثلاثة عناصر: من أرسله، وما أوثمن عليه، ومن أرسل إليه. فإذا حذفنا الإذن الإلهي تحول إلى قوة مستقلة، وإذا حذفنا الأمانة ضاعت دلالة الرسالة، وإذا حذفنا وجهة الخطاب صار الخبر عجبًا مجردًا لا يؤدي معنى.

ولهذا يرد نزول الملائكة في القرآن في سياقات متباينة: بشارة، وتأيد، ووحى، وتوفٍ، واستقبال يوم القيامة. الجامع ليس تكرار المشهد نفسه، بل صدور العمل عن أمر الله. وقد تحمل الجماعة بشرى إلى بيت إبراهيم ثم تمضي إلى قوم لوط بعاقبة مختلفة، من غير أن تكون الرسالتان متعارضتين.

وإن انتظار الأمر جزء من الطاعة. فقول الملائكة في سورة مريم إن تنزلهم بأمر الرب يقرر أنهم لا يختارون الحضور بحسب أهواء الناس أو اقتراحاتهم. لا تستدعي الرسالة بإلحاح المتحدي، ولا يملك الملك أن يغير وقتها. وبذلك نصل إلى جبرئيل، وقد ظهر المعنى الذي يجعل أمانته أساساً لفهم اسمه.

ويصرح القرآن بإرسال الملائكة بالروح والأمر في مقام الإنذار بالتوحيد:

﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ ٢

سورة النحل، الآية ٢

وفي مقابل هذا الاختيار الإلهي تتكرر مطالب المكذبين بأن ينزل ملك وفق اقتراحهم:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ ٨

سورة الأنعام، الآية ٨

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ١٢

سورة هود، الآية ١٢

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٧ ﴿مَا نُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ ٨

سورة الحجر، الآيات ٧-٨

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۚ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ ٧

سورة الفرقان، الآية ٧

تتشابه المطالب في جعل التصديق مشروطاً بصورة يختارها المعارض، ويأتي الجواب ليبين أن الرسول يؤدي ما كلف به، وأن نزول الملائكة له حكمته ووقته وعاقبته. كما يواجه القرآن افتراض أن نزول الآية الحسية يزيل العناد بالضرورة:

﴿* وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ١١١

سورة الأنعام، الآية ١١١

ثم يرد على اعتراض آخر يتعلق ببشرية الرسول:

﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ ٩٥

سورة الإسراء، الآية ٩٥

فالرسالة إلى البشر لا ينقضها كون المبلّغ البشري يعيش حياتهم ويخاطبهم بلسانهم. وليس على النبي أن يدّعي أنه ملك لكي يكون صادقاً:

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِن أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ ٥٠

سورة الأنعام، الآية ٥٠

هذه الآيات تحفظ مكان كل طرف في طريق الهداية: الله يختار، والملك يؤدي ما أرسل به، والنبي يبلغ، والإنسان مسؤول عن النظر والاستجابة. ولا يملك المعترض إعادة ترتيب هذا الطريق بحسب رغبته.

ومن الآيات المتصلة بتدبير الأمر مطالع سور الصفات والذاريات والمرسلات والنازعات. ويجمع المجلسي أقوال المفسرين فيها، ومنها تفسير جملة من أوصافها بالملائكة، مع عرض أقوال أخرى في بعض الألفاظ. [١] لذلك تُدرج في خريطة الموضوع بوصفها مواضع تفسير، دون أن يجعل كل لفظ فيها اسماً لفرقة مستقلة.

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ ١ ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ ٢ ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ ٣ ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ ٤ ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ ٥

سورة الصفات، الآيات ١-٥

في الصف والزجر وتلاوة الذكر صورة تجمع الانتظام والعمل والعبادة، وتنتهي بالإقرار بوحدانية الله. ومع تفسير هذه الأوصاف بالملائكة يبقى مقصد القسم متصلاً بالتوحيد، ولا يستقل الوصف بإنشاء قائمة أسماء جديدة.

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرْوًا﴾ ١ ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ ٢ ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ ٣ ﴿فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا﴾ ٤

سورة الذاريات، الآيات ١-٤

تذكر «المقسّمات أمرًا» ضمن ما يفسر بالملائكة، بينما تتنوع الأقوال في الألفاظ السابقة من الرياح والسحب وغيرها. وحفظ هذا التنوع يوضح الصلة بين المشاهد الكونية والأمر الإلهي، من غير أن نضع لجميع ألفاظ المقطع تفسيراً واحداً إلزامياً.

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ ١ ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ ٢ ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ ٣ ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا﴾ ٤
﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ ٥ ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ ٦

سورة المرسلات، الآيات ١-٦

يتصل ختام هذه الأوصاف بإلقاء الذكر إعداراً وإنذاراً، فيظهر وجه الرسالة والهداية. وتحتاج علاقة المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات بعضها ببعض إلى قراءة التفسير، فلا تكون صيغة الجمع المؤنث دليلاً على تأنيث الملائكة الذي رده القرآن.

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ ١ ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ ٢ ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ ٣ ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ ٤
﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ ٥

سورة النازعات، الآيات ١-٥

وفي أقوال تفسير النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات ذكر لقبض الأرواح والمسارة بالأمر والتدبير المأذون به، مع وجود تفسيرات أخرى لبعضها. ومن هنا تتصل الآيات بفصول التوفي كما تتصل بهذا الفصل، ويبقى التمييز قائماً بين نص الآية وبين تعيين المراد الذي ينقله المفسر.

ويرتبط إرسال الوحي بحفظ طريقه، فتختم سورة الجن ببيان يخص من ارتضى الله من رسول:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ٢٦ ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ ٢٧ ﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ ٢٨

سورة الجن - ٢٦-٢٨

يفسر الرصد في هذا الموضع بالحرس من الملائكة في جملة من التفاسير، ويتصل المعنى بصيانة التبليغ وإحاطة الله. أما علم الغيب فبدؤه ما يُطلع الله عليه رسوله، وليس استقلالاً من الملك أو النبي بمفاتيحه. وهذه وظيفة تكمل الرسالة: حمل الأمر وحفظ طريق وصوله.

[١] المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٦، باب ٢٣، صدر الباب في الآيات وتفسيرها، ص ١٤٦-١٧٠؛ ولا سيما عرض الأقوال في النازعات ص ١٦٨-١٧٠، نقلاً عن مجمع البيان. يرد هذا المجلد برقم ٥٩ في ترتيب آخر، والكلام المذكور عرض تفسيري متعدد الأقوال.

من مراجع الآيات في الفصل: الحج ٧٥؛ مريم ٦٤؛ النحل ٢؛ الأنعام ٨؛ هود ١٢؛ الحجر ٧-٨؛ الفرقان ٧؛ الأنعام ١١١؛ الإسراء ٩٥؛ الأنعام ٥٠؛ الصافات ٥-١؛ الذاريات ٤-١؛ المرسلات ٦-١؛ النازعات ٥-١.

الباب الثالث

الملائكة في مسيرة الأنبياء والأمم

الفصل ١٥: جبرئيل عليه السلام وأمانة الوحي

يتصدر جبرئيل أسماء الملائكة المتصلة بالوحي في معرفة المسلمين. غير أن قرب الاسم من الذاكرة لا يغني عن العودة إلى الموضع الذي يعرف به القرآن ويبين طبيعة عمله.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٩٧

سورة البقرة، الآية ٩٧

تنص الآية على نزول القرآن على قلب النبي بإذن الله، وترد على عداوة جبرئيل. فالعداوة هنا لا تتعلق بخلاف شخصي مع ملك، وإنما تتصل بالموقف من الرسالة التي يحملها. ويظهر الإذن الإلهي مرة أخرى ليحدد مصدر الوحي ومشروعيته.

﴿وَأَنَّهُ لَنَزَّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٩٢ ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ١٩٣ ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ ١٩٤

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ ١٩٥

سورة الشعراء، الآيات ١٩٢-١٩٥

يقرأ وصف الروح الأمين في هذا السياق مع التصريح باسم جبرئيل في البقرة. والأمانة صفة مركزية: لا يبذل الرسول ما كُلف تبليغه، ولا يجعل الوحي رأياً خاصاً به. وفي الدعاء الثالث من الصحيفة وصف لجبرئيل بالأمانة على الوحي والقرب والمكانة. [١]

ترد صيغ جبرئيل وجبريل وجبرائيل في التداول والكتب؛ وتضبط عند النقل بحسب النص. ولا يقتضي اختلاف الرسم تعدد المسمى. أما أخبار صورته وأجنحته ولقاءاته المتعددة فتحتاج إلى مصادر كل واقعة، فلا تلحق هذه التفاصيل بالآية من غير فصل.

إن قراءة جبرئيل بوصفه أميناً تعيد النظر إلى ما يحمله: هداية للإنسان، لا حكاية عن قوة غريبة فحسب. ومن هنا نسير إلى المشاهد السابقة لآدم، ثم إلى البشارات ومواطن الرسالة.

ويصف القرآن الرسول الكريم في سياق نزول الوحي بالقوة والمكانة والأمانة:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ١٩ ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ٢٠ ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ ٢١ ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ ٢٢ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ ٢٣

سورة التكوين، الآيات ١٩-٢٣

يُقرأ هذا الوصف في التفسير المتصل بجبرئيل بوصفه حامل الوحي، مع الفصل بين الرسول الملك وبين النبي الذي أبلغ. فالقوة هنا تؤكد القدرة على أداء الأمانة، والمكانة لا تفصل صاحبها عن رب العرش، والطاعة في الملأ الأعلى لا تجعله مصدر القرآن من عند نفسه.

ولهذا فإن نسبة القول إلى رسول كريم في هذا السياق نسبة تبليغ وحمل، لا تأليف للوحي. وقد بينت آية البقرة أنه نزل على قلب النبي بإذن الله. وتجتمع الآيتان على حفظ طريق الرسالة: من عند الله، بواسطة أمين، إلى قلب الرسول البشري الذي يبلغ الناس.

وإذا تعددت صيغ الاسم في المصادر، باختلاف الكتابة لا يغير هذا المقام. نحفظ صيغة «جبريل» حين ننقل الآية، وننقل «جبرئيل» أو «جبرائيل» بحسب الرواية، ونحيل الصيغ كلها إلى مدخل واحد. وحفظ اللفظ هنا جزء من حفظ النص نفسه.

[١] الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، فقرة جبريل الأمين على الوحي.

الفصل ١٦: الملائكة وإعلان خلافة آدم

سبق ذكر إعلان الخلافة، وهنا نقرأ تتابع المشهد. لم يُقدّم آدم إلى الملائكة بسرده طولاً أو هيئته، بل انفتح الحدث على العلم الذي علمه الله إياه. وبه ظهر لهم جانب من الحكمة التي لم يكونوا يحيطون بها.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٣١ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ٣٢ ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْني أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ٣٣

سورة البقرة، الآيات ٣١-٣٣

لا يشرح هذا المقطع جميع تفاصيل الأسماء على نحو يسمح لنا بالجزم بقائمة لم يذكرها. وقد تناولت التفسير معناها بوجوه متعددة، فلا نستبدل بالآية أحد الوجوه ثم نعرضه كأنه لفظها. الثابت في المشهد تعليم الله لآدم، وعرض السؤال، وإقرار الملائكة، وإظهار ما علمه الله له.

ويحتاج سؤالهم عن الفساد وسفك الدماء إلى فهم يحفظ طاعتهم. فالسؤال عن الحكمة ليس مساوياً للاعتراض الاستكباري، وخاصة أن جوابهم اللاحق يعلن تنزيه الله وحدود العلم. أما القول بأنهم عرفوا ذلك من خلق سابق بعينه أو من تاريخ محدد، فيتوقف على الأخبار التي يثبت بها هذا التعيين.

هكذا يظهر الإنسان في مجال مسؤولية لا تمنعها قابلية الفساد. ولا يلزم من تكريم آدم تفضيل كل فعل بشري على كل ملك؛ فالمشهد له دلالة، والتعميم يحتاج إلى حجة. والدرس الذي نستطيع حمله بأمان هو أن قيمة الخلق لا تستنفدها مادته، وأن الحكمة الإلهية أوسع مما يدركه الناظر في أول الأمر.

ويمضي المشهد في ترتيب له دلالة. يبدأ بتعليم آدم، ثم عرض الأسماء على الملائكة وسؤالهم، ثم اعترافهم بحدود العلم، ثم إنباء آدم لهم. فليست الخلافة مجرد غلبة جسم على جسم أو سبق عنصر على عنصر؛ يظهر فيها وجه من العلم أودعه الله في الإنسان.

ومع ذلك لا تسمي الآيات في هذا الموضع قائمة الأسماء التي علمت لآدم، ولا تعرض نص الدرس وتفصيله. ولهذا تتسع التفسير في تعيين المقصود، بينما يبقى القدر المشترك واضحاً: أن الله أظهر للملائكة علماً منح آدم إياه، وأن إقرارهم لم ينقلب حسداً أو اعتراضاً.

وتتكشف بذلك منزلة السؤال الأول. فقد سألوا عن الحكمة فيما رأوا من احتمال الفساد وسفك الدماء، ثم تلقوا البيان من فعل التعليم. إن جواب الله لم يبلغ وقوع الشر في تاريخ البشر، لكنه أظهر أن هذا الاحتمال ليس كل الحقيقة. وفي القدرة على التعلم والهداية والتوبة وجه من حكمة الخلافة لا يختزل في مشهد الفساد.

من مراجع الآيات في الفصل: البقرة ٣١-٣٣.

الفصل ١٧: السجود لآدم وبداية امتحان إبليس

انتقل المشهد من التعليم إلى الأمر، وظهر الفرق بين السؤال الذي ينتهي إلى التسليم، والكبر الذي يرفض التكليف. فالملائكة سجدوا، بينما أبى إبليس.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ٣٤

السجود لآدم في هذا السياق امثال لأمر الله وتكريم لآدم، وليس إقراراً بألوهيته. ولا يمكن فهمه معزولاً عن حقيقة أن الأمر هو الله وأن الملائكة عباده. أما تحويل السجود إلى عبادة للمخلوق فيناقض الإطار التوحيدي الذي ورد فيه الحدث.

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ۖ اسْتَكْبَرْتَ ۖ أََمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ ٧٥ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ٧٦

سورة ص، الآيات ٧٥-٧٦

جعل إبليس أصل المادة معياراً لرفض الأمر، وأعلن تفضيل نفسه. ولا تحمل الآيتان مدحاً للنار على الطين، بل تعرضان حجته التي أسست امتناعه. وهنا ينشأ درس القصة: ليست المشكلة فقدان كل معرفة، وإنما فساد الموقف من الحق عند تعارضه مع تعظيم النفس.

لا نحتاج إلى اختراع حوار آخر بين الملائكة وإبليس كي يكتمل المشهد. إن طاعتهم واضحة في النص، وامتناعه واضح، وتفصيل ما قبل ذلك وما بعده لا تقبل لمجرد إمتاع السرد. وأمانة الحكاية أن تبقي الصمت حيث سكت المصدر، وأن تشرح ما قاله بدل أن تراحه بما لم يقله.

ويعطي السياق في سورة ص صورة أخرى لا اكتمال الامثال:

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ٧٣ ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ٧٤

سورة ص، الآيات ٧٣-٧٤

تؤكد الآية سجود الملائكة جميعاً، ثم تفرد إبليس بالاستكبار. وبذلك لا يكون امتناعه نقصاً في استجابة الجماعة الملائكية التي وصفها القرآن، بل خروجاً من استكبر على الأمر. وهو لم ينازع في وجود الله، وإنما نازع في مقتضى الطاعة حين خالف الأمر ما توهمه من أفضليته.

والسجود في هذا الموضع امثال لأمر الله في شأن آدم. لا يجعل آدم إلهاً، كما لا يصبح كل سجود مأمور به عبادة لغير الله بمجرد صورة الحركة. الذي يحدد المعنى هو الأمر والمقصود، ومن الخطأ فصل الحركة عن سياقها ثم إصدار حكم على القصة كلها.

ويكشف هذا الحدث أيضاً أن كثرة العبادة لا تمنح صاحبها حصانة من الكبر إن جعل نفسه معياراً فوق الأمر. أما الملائكة فقبلوا ما ظهر من الحكمة، وأطاعوا من علمهم. هكذا يفترق طريقان عند عتبة واحدة: طريق العبودية التي تتعلم، وطريق النفس التي تريد أن تحكم الأمر إلى دعوى تفوقها.

ويعيد القرآن مشهد السجود في سور متعددة، مع بقاء أصله الواحد واتساع وجه الاعتبار فيه. ففي الأعراف يأتي بعد الخلق والتصوير:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ١١

سورة الأعراف، الآية ١١

وفي الحجر يذكر مادة خلق البشر ونفخ الروح ثم امتثال الملائكة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ ٢٨ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ٢٩ ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ٣٠

سورة الحجر، الآيات ٢٨-٣٠

وفي الإسراء يظهر تعليل إبليس امتناعه بالطين، ويختصر طه موقفه بلفظ الإباء:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ ٦١

سورة الإسراء، الآية ٦١

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ ١١٦

سورة طه، الآية ١١٦

وترد بداية الخطاب مرة أخرى في سورة ص:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ ٧١ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ٧٢

سورة ص، الآيات ٧١-٧٢

هذه مواضع قرآنية للشهد نفسه، وليست أخباراً عن سجود يتكرر بعدد السور. والمقابلة بينها تجمع ما نصت عليه من غير أن تحو خصوصية السياق الذي وضعت فيه كل مرة.

من مراجع الآيات في الفصل: البقرة ٣٤؛ ص ٧٥-٧٦؛ ص ٧٣-٧٤؛ الأعراف ١١؛ الحجر ٢٨-٣٠؛ الإسراء ٦١؛ طه ١١٦؛ ص ٧١-٧٢.

الفصل ١٨: الملائكة مع آدم وأسرته

تمتد قصة آدم إلى التوبة والهبوط ومسؤولية الهداية. وفي هذه المراحل ينبغي ألا ننسب كل خطاب أو تعليم إلى ملك ما لم يعين النص ذلك، فالقرآن قد ينسب التعليم إلى الله دون ذكر الواسطة.

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ^ج إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ٣٧ ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا^ط فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٣٨ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٣٩

سورة البقرة، الآيات ٣٧-٣٩

يثبت هذا المقطع تلقي الكلمات وقبول التوبة ووعده الهدى. لكنه لا يسمي ملكاً علم آدم الكلمات، ولا يصف في هذه الآيات مراسم الحياة الأولى على الأرض. ولذلك يُذكر مضمونها كما هو، ويترك تفصيل الوسائط للروايات التي تحتاج إلى تخرّيج مستقل.

وفي أخبار آدم المنتشرة تفاصيل عن تعليمه العبادة والزراعة، وعن وفاته وغسله ودفنه وصلات الملائكة بأسرته. لا أعرض هنا تلك التفاصيل كتاريخ ثابت؛ فوجود باب جامع لها في كتب القصص لا يحسم اختلاف أسانيدها. ولم يثبت في النصوص التي يقوم عليها هذا الفصل اسم فردي جديد للملك، فلا يصح أن يُملأ المعجم باسم متداول بلا إحالة.

ولا يُعد ذكر حواء والأسرة الأولى خروجاً عن موضوع الكتاب؛ فالشخصيات النسائية تُذكر متى كان لها موضع في الحدث، مع فصل ما يقوله القرآن عما يسميه المفسرون أو الرواة. وتبقى خلاصة هذه المرحلة أن الهداية استمرت بعد الهبوط، وأن الحديث عن الملائكة جزء من هذه الهداية، لا باباً إلى رواية تاريخ كامل للأسرة الأولى بلا دليل.

وحين تنتقل قصة آدم إلى الأرض تتغير صورة اللقاء بالهداية. لم يعد المشهد مجرد تعليم أسماء بين مخاطبين في الملأ الأعلى؛ صار أمام الإنسان عيش ومسؤولية وعداوة وتوبة، ثم وعد باتباع الهدى. ولذلك لا يصح أن نملأ كل مرحلة من حياة آدم باسم ملك لم يذكره النص الذي بين أيدينا.

ويبقى أثر المشهد الأول حاضراً: الإنسان الذي علم يمكنه أن يخطئ، لكنه يستطيع أن يتلقى كلمات التوبة ويعود. والملائكة الذين أقروا بحدود علمهم لا يحضرون في القرآن بوصفهم خصوماً يتشفون بزلته. فهذه صورة لا يسندها النص، وتخالف ترتيب القصة الذي يفتح باب الرحمة بعد الخطأ.

ومن هذا الانتقال يبدأ تاريخ الأسرة البشرية. تُذكر حواء مع آدم في قصة السكن والابتلاء، ثم تتسع الحكاية لذريته. أما الأخبار عن نزول الكفن أو تعليم الغسل أو حضور الملائكة عند وفاته فهي موضوعات روائية لا يثبت تفصيلها من آيات التوبة وحدها. وحين لا يُعين خبر موثوق، يبقى بيان الحد هنا أوفى من صناعة مشهد وداع لم ينقله المصدر.

ويظهر اسم الملائكة أيضاً في وسوسة الشيطان للأبوين:

﴿فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِمِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ ٢٠

سورة الأعراف، الآية ٢٠

ينقل القرآن هنا قول الشيطان، ولا يقر صدق ما أغراهما به. فاحتمال أن يصيرا مَلَكَين جزء من الوعد الكاذب في سياق الوسوسة، وليس تقريراً قرآنياً بأن أكل الشجرة يحول الإنسان إلى ملك. وهذا موضع آخر يبين ضرورة معرفة المتكلم في القصة قبل استخراج الاعتقاد من عبارته.

ومن الأخبار التي تصل الملائكة بآدم والميثاق خبر الحجر الأسود في كتاب الحج من الكافي. يروي بكير بن أعين عن الإمام الصادق عليه السلام خبراً طويلاً يصف أصل الحجر بأنه ملك من عظماء الملائكة، أودع الميثاق وجعل مع آدم يذكره به، ثم يعرض تحوله إلى الجوهرة وحمله إلى موضع البيت. [١] لا يسمي الخبر هذا الملك اسماً شخصياً؛ لذا يسجل موضوعه ضمن الأوصاف، ولا يُختَرع له اسم في المعجم.

ويركز الخبر على الأمانة وتجديد العهد والشهادة بالوفاء، وهي معانٍ تختلف عن البحث في تركيب الحجر المادي. ويجب الفصل بين هذا التفصيل وبين الحديث الأول من الباب، الذي يذكر التقام المواثيق دون أن يعرض كل قصة التحول. لا يُنقل حكم سند رواية أقصر إلى جميع تفاصيل الرواية المطولة لجرد جمعهما في باب واحد.

[١] الكافي، ج ٤، كتاب الحج، باب بدء الحجر والعلة في استلامه، الحديث ٣، ص ١٨٤-١٨٧؛ قبل مع الحديث الأول من الباب. يروى التفصيل على أنه مضمون هذا الطريق، دون تصحيح مستقل له هنا.

من مراجع الآيات في الفصل: البقرة ٣٧-٣٩، الأعراف ٢٠.

الفصل ١٩: الملائكة مع الأنبياء الأوائل

ترتبط أخبار الأنبياء الأوائل بالوحي والنجاة والرفع والعذاب. لكن وجود هذه المعاني لا يكفي لتسمية الملك الذي باشر كل واقعة. إن الرغبة في استكمال الحكاية قد تحمل الناقل على تحويل احتمال إلى شخصية ثابتة، ومن هنا تأتي ضرورة التوقف عند حدود البيان.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ٥٦ ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ ٥٧

سورة مريم، الآيات ٥٦-٥٧

يذكر القرآن إدريس ورفعه، ولا يسمي في هاتين الآيتين ملكاً حمله أو قبض روحه. ولذلك فإن القصص التي تتصل بإدريس وملك الموت تحتاج إلى مصدرها الخاص، ولا تُعرض على أنها شرح قطعي لعبارة الرفع. وكذلك فإن شيئاً يرد في الموروث الروائي، وليس اسمه وارداً في القرآن؛ فلا ننسب إليه تفاصيل ملائكية من غير تخريج.

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ ٣٧

سورة هود، الآية ٣٧

ينص هذا المقطع من قصة نوح على الوحي والرعاية، من غير تسمية ملك في صناعة السفينة. ويحفظ الفرق بين عموم الإيمان بالوحي وبين تعيين الوسائط في كل جزء من الحدث. وفي أخبار هود وصالح يقرر القرآن النجاة والعقوبة، لكن إسناد كل صوت أو ريح أو صيحة إلى ملك معين يحتاج إلى دليل زائد.

إن ثمرة هذا الفصل ليست جمع أسماء تخيئية، بل وضع قاعدة لقراءة الأخبار القديمة: لا نملاً ما بين النصوص بمشاهد من صنعنا. ويمكن أن تتسع المادة حين تثبت روايات بعينها، أما في هذا العرض فليس لدينا من هذه الآيات اسم فردي جديد نضيفه إلى المعجم.

يصل اسم إدريس إلى القارئ مقروناً بالصدق والنبوة ورفعة المكان. وهذه العناصر الثلاثة هي مركز خبره في الآيتين. أما كون الرفع مرتبطاً بملك معين أو بقاء مع ملك الموت فيحتاج إلى مصدر روائي مستقل؛ فلا يكون اسم النبي باباً لإثبات اسم ملك لم تسمه الآية.

وفي قصة نوح يتجلى معنى العناية في صناعة الفلك والوحي إليه، ثم في حمل المؤمنين والنجاة. لكن عبارة العناية لا تقتضي أن كل أمر تلقاه نوح نُقل إليه في ذلك الموضع بواسطة ملك مسمى. وهذا التفريق يحفظ صلة الأنبياء بالهداية من غير أن يضع صورة واحدة لجميع وجوه الوحي.

وعندما يذكر الكتاب شيئاً في سياق الأسرة الأولى أو امتداد الوصية، فإنه لا يجعله اسماً قرآنياً، ولا يملأ خبره بأسماء ملائكة من أخبار مجهولة الطريق. يكفي أن نرى مساراً يمتد من تعليم آدم إلى رسالات البشر: الله يهدي ويعلم ويرسل، والملائكة من رسله، لكن تفاصيل حضورهم في حياة كل نبي ليست متساوية فيما وصل إلينا. وهكذا يكون اختصار المشهد أحياناً جزءاً من صدقه. فليس كل نبي في القرآن مصحوباً بقصة ملائكية مفصلة، ولا يلزم أن يتساوى طول الفصول حتى تتساوى منزلة الأنبياء في الإيمان.

ولم يقتصر الاعتراض على بشرية الرسول على عصر النبي محمد صلى الله عليه وآله. ففي خبر نوح يذكر القرآن قول الملائكة:

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ ٢٤

سورة المؤمنون، الآية ٢٤

ويعود الاعتراض في سياق أقوام جاءت إليهم الرسل:

﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ ١٤

سورة فصلت، الآية ١٤

فالقول «لو شاء الله لأنزل ملائكة» في هذين الموضعين حجة المكذبين التي يحكيها القرآن، لا قاعدة يقررها في كيفية الرسالات. وهنا يكون حضور الملائكة في قصص الأنبياء حضوراً في جدل الأقوام أيضاً، حتى حين لا يصف النص نزولهم في الواقعة نفسها.

من مراجع الآيات في الفصل: مريم ٥٦-٥٧؛ هود ٣٧؛ المؤمنون ٢٤؛ فصلت ١٤.

الفصل ٢٠: ضيوف إبراهيم وبشارة سارة

يفتح مشهد الضيافة باباً من أوضح أبواب حضور الملائكة في القصص القرآني. دخل الرسل على إبراهيم يحملون خبراً، فاستقبلهم بما اعتاده في إكرام الضيف، ثم بدت له علامة لم تكن مألوفة في الضيافة البشرية.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ۖ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ لُّوطٍ ۖ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۖ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۖ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحِمْتُ الْإِبْرَاهِيمَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۖ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۖ ﴿٧٣﴾

سورة هود، الآيات ٦٩-٧٣

تنتقل القصة من السلام إلى الطعام، ومن الخوف إلى الطمأنينة، ثم إلى البشارة. لا يروي النص حواراً طويلاً عن حقيقة الملائكة، وإنما يكشفها بقدر ما يحتاجه الحدث. وأما المرأة المذكورة فهي امرأة إبراهيم؛ واسم سارة معروف في الموروث، ولا يصح القول إن هذه الآيات سمّتها بالاسم.

تحمل البشارة إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب. وتستقبل المرأة الخبر بالدهشة المرتبطة بواقع العمر، فيأتي الجواب محيلاً إلى أمر الله ورحمته. وينبغي أن يبقى هذا الفرح جزءاً أساسياً من القصة؛ فلا تذكر المرأة على هامش مشهد رجالي، وهي المخاطبة بالبشارة والرحمة فيه.

وللحادثة مواضع أخرى في الحجر والذاريات، تضيف إلى تصوير الحوار وتؤكد المهمة التي جاء بها الرسل. لا نسمي عددهم أو أسماءهم اعتماداً على هذا المقطع وحده. كما لا نجعل امتناعهم عن الطعام إهانة للضيف؛ فالقرآن يفسر الخوف بانكشاف اختلاف حالهم، ثم يبدده بتعريفهم برسالتهم.

يتجاوز في الرحلة خبر الميلاد وخبر نهاية قوم لوط. ويحمل الرسول الملكي ما أمر به في المقامين، فتظهر وحدة الأمر الإلهي مع اختلاف أثره في أهل الإيمان وأهل الظلم.

وتروي سورة الذاريات اللقاء من جهة أخرى، فتزيد تفاصيل الحركة التي أحاطت بالبشارة:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ ٢٤ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾
 ٢٥ ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ ٢٦ ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ٢٧ ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾
 قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ٢٨ ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجْزٌ عَقِيمٌ﴾
 ٢٩ ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ ٣٠

سورة الذاريات، الآيات ٢٤-٣٠

يدخل الضيوف بالسلام، ويرد إبراهيم السلام، ثم يسرع إلى أهله ويحيى بعجل سمين. لا يسبق الضيافة في هذا العرض إعلان هويتهم؛ ولهذا يصبح امتناعهم عن الطعام موضع الاستغراب والخوف. ثم تقع الطمأنة والبشارة بالسلام، وتظهر استجابة الزوجة في التعجب من ولادة تقع مع الكبر والعقم.

هذه حركة سردية يتيحها القرآن نفسه؛ فلا نحتاج إلى وضع أوصاف لملايئهم أو أصواتهم أو عدد خطواتهم. وتكشف المقارنة مع سورة هود آساق المشهد: سلام وضيافة وخوف يزول بخبر الرسالة، ثم تعجب يرد إلى قدرة الله وحكمته.

ولا تذكر هذه الآيات أسماء أفراد الضيوف. ولذلك نقول «رسل إبراهيم» أو «ضيوفه من الملائكة»، ولا نجزم بأن كل اسم مشهور من كبار الملائكة كان بينهم إلا إذا نسبنا ذلك إلى رواية بعينها. حفظ هذا القدر لا يضعف القصة؛ فركزها البشارة ووعد الله.

وتفصل سورة الحجر معنى البشارة والرجاء قبل انتقال الرسل إلى مهمتهم التالية:

﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ٥١ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ ٥٢ ﴿قَالُوا لَا تَوَجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ ٥٣ ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ﴾ ٥٤ ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ ٥٥ ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ ٥٦ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ٥٧ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ ٥٨ ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٥٩ ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ٦٠

سورة الحجر — ٥١-٦٠

الخوف الذي بدأ به اللقاء يتبدل إلى محاورة عن البشارة ورحمة الله، ثم يسأل إبراهيم عن غاية مجيئهم. وتجيئ الرسالة بأن النجاة والعقوبة لا تقعان بلا تمييز؛ فال لوط مستثنون من الهلاك، وامرأته مستثناة من النجاة. وفي هود يمتد الحوار إلى المجادلة في قوم لوط:

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ ٧٤ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾
 ٧٥ ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ ٧٦

سورة هود — ٧٤-٧٦

ومن مواضع تسمية الضيوف خبر روضة الكافي عن أبي يزيد الحمار، عن الإمام الصادق عليه السلام، وفيه أن المبعوثين أربعة: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكرويل. [١] وبذلك يثبت موضع اسم «كرويل» في الرواية، مع أن آيات الضيافة لا تسميه. ولا يدمج الاسم تلقائياً بلفظ «الكرويين» الدال على جماعة في خبر آخر؛ فالتقارب اللفظي لا يثبت وحدة المسمى. وقد نقل عن المجلسي وصف طريق هذا الخبر بالمجهول؛ فتظل التسمية موثقة الورود، دون جعل جميع تفاصيل الرواية قطعية.

[١] الكافي، ج ٨، الروضة، الحديث ٥٠٥، مطلعه «إن الله تعالى بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط»، ونقله المجلسي في بحار الأنوار، ج ٥٦، باب ٢٤، ص ٢٥٦-٢٥٧، الحديث ٢٠. حكم «مجهول» منقول مع النص في النسخة الحديثية المراجعة؛ يرجع إلى رقم الحديث ومطلعه عند اختلاف ترقيم الشروح.
 من مراجع الآيات في الفصل: هود ٦٩-٧٣؛ الذاريات ٢٤-٣٠.

الفصل ٢١: الملائكة مع لوط

كان وصول الرسل إلى لوط امتحاناً شديداً في ظاهر المشهد. استقبلهم وهو يعرف فساد قومه وما قد يتعرض له ضيفه، ولم يكن قد انكشف له من أمرهم ما يزيل القلق.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ ٧٧ ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ ٧٨ ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ ٧٩ ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ ٨٠ ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ

الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنصُودٍ﴾ ٨٢
﴿مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ ٨٣

سورة هود، الآيات ٧٧-٨٣

يعرض النص ضيق لوط، ومواجهة قومه، ثم خطاب الرسل الذي يحدد حقيقة الموقف. وعندما يعرف أنهم رسل ربه، يتغير معنى الخطر: فلا تصل إليهم قدرة القوم كما ظن، وتصبح المهمة خروجاً في الوقت المأمور به. تظهر في القصة البنات والزوجة، ولكل موضعه. ولا يستلزم ذكر البنات أن نصنع لهن أسماء، كما لا يجوز تفسير دعوة لوط بما يناقض مقام نبوته دون النظر في دلالة العبارة والتفسير المعتمد. أما زوجته فليست الناجية بمجرد رابطة الزواج؛ إذ يبين السياق مصيرها مع القوم.

وفي موضع آخر يذكر القرآن طمس أعين الذين راودوه عن ضيفه. وهذه التفاصيل تُجمع بحسب مواضعها، لا بحسب رغبة الراوي في زيادة الإثارة. ويظل تعيين اسم ملك تولى كل فعل أمراً مستقلاً عن ثبوت الحدث نفسه.

تتضح في هذا المشهد أخلاق الضيافة وثقل حماية المستضعف، ويتضح أيضاً أن القرابة لا تلغي مسؤولية الموقف. وليست الحكاية دعوة إلى أن يحكم البشر على الآخرين بعقوبات غيبية؛ إنها خبر عن واقعة محددة نفذ فيها الرسل ما أمرهم الله به، وليست تفويضاً لأحد أن ينصب نفسه منفذاً لمثلها.

وتصل إلى لوط آثار المشهد السابق: الضيوف أنفسهم يحملون رسالة لا يعرفها قومه. يضيق بهم صدره خوفاً عليهم مما يعرفه من عدوان قومه، بينما يكون الاطمئنان عندهم قائماً على علمهم بما أرسلوا به. هذا الفرق بين ما يعلمه النبي حين يستقبلهم وما يعلنونه له بعد ذلك جزء من بناء القصة، وليس انتقاصاً من مقامه.

ويصرح القرآن بواقعة الطمس:

﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرُ﴾ ٣٧

سورة القمر، الآية ٣٧

فالحديث عن العذاب هنا مرتبط بمحاولة الاعتداء على الضيف والإصرار على الفساد. ولا يصح اختزال القصة في رغبة عقابية من الملائكة؛ فهم يبلغون أمراً، ويبينون للوط طريق الخروج، ويحددون أن موعد القوم الصبح.

ولم يجعل قرب الزوجة من بيت النبوة ضماناً للنجاة مع مخالفتها، كما لم تترك الأسرة المؤمنة في العذاب. تتحدد العاقبة بما بينه النص من الإيمان والموقف. وبهذا تفترق القرابة الجسدية عن الاستجابة للهداية، ويظهر دور الرسل في إنقاذ المؤمنين كما يظهر في تنفيذ الحكم على المعتدين.

وتجمع سورة العنكبوت البشارة لإبراهيم والإنقاذ للوط في سياق متصل:

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانَ ظَالِمِينَ﴾ ٣١ ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ٣٢ ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ٣٣ ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ٣٤ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٣٥

سورة العنكبوت - ٣١-٣٥

يتضح هنا أن سؤال إبراهيم عن لوط يلقي جواباً بعلم الرسل بمن في القرية وبنجاته وأهله إلا امرأته. ثم يأتي خطاب لوط بنفي الخوف والحزن. فالمهمة تتضمن حماية المؤمنين، ولا تختزل في إنزال العقوبة.

﴿* قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ٣١ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ ٣٢ ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ ٣٣ ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ٣٤ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٣٥ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٣٦ ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ٣٧

سورة الذاريات - ٣١-٣٧

ويبين هذا المقطع اختصاص الإرسال بالقوم المجرمين وإخراج المؤمنين قبل نزول الحكم. أما سورة الحجر فتفصل تعليمات الرحيل، وتعرض مواجهة القوم ومآلها:

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ ٦١ ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ﴾ ٦٢ ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ٦٣ ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ٦٤ ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ ٦٥ ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ ٦٦ ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ٦٧ ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ ٦٨ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ ٦٩ ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ٧٠ ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ٧١ ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ

لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً
مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

سورة الحجر - ٦١-٧٧

تمنح المقابلة بين السور صورة أوفى للحدث: تعريف الرسل، وتثبيت النبي، وتوقيت الخروج، ثم العاقبة والعبرة. وليس تعدد السور تعدداً لوقائع مستقلة، ولا يجوز نقل أسماء الرسل من رواية إلى نص الآيات كأنها جزء منه. من مراجع الآيات في الفصل: هود ٧٧-٨٣؛ القمر ٣٧.

الفصل ٢٢: الملائكة مع أسرة إبراهيم

تتفرع مسيرة أسرة إبراهيم في مكة وفي أرض الشام، وتتشكل حولها قصص كثيرة. وأمانة الحديث عن الملائكة تقتضي تمييز ما أثبتته القرآن من الدعاء والابتلاء والنجاة عما تعينه الروايات من الوسائط.

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ٣٧

سورة إبراهيم، الآية ٣٧

يذكر الدعاء إسكان بعض الذرية عند البيت، ولا يسمي في هذه الآية هاجر أو إسماعيل، ولا يسرد قصة الماء أو الملك. تُعرف هذه التفاصيل من مصادر أخرى، ولا يضير القصة أن نحفظ الفرق. كما أن وجود الفداء في قصة الذبح لا يثبت وحده اسم من حمله أو كيفية مجيئه؛ وتعيين الذبح كذلك بحث له أدلته.

وفي قصة يوسف تظهر كلمة «ملك» على لسان النساء حين رأينه. ومن المهم ألا يُستخرج من هذا الموضع حضور ملك فعلي في المجلس، فالبارة وصف ليوسف في انفعال الدهشة.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ ٣١

سورة يوسف، الآية ٣١

يعلمنا هذا المثال أن جمع كل لفظ متعلق بالملائكة لا يكفي وحده لفهم دوره في القصة. ينبغي أن نعرف المتكلم، وما إذا كان الكلام تقريراً لحقيقة أو تشبيهاً أو اعتقاداً يُحكى عن قائله. وكذلك لا نحكم بأن البرهان الذي رآه يوسف كان ملكاً معيناً ما لم يقدم دليل على هذا التعيين.

أما لقاءات يعقوب بملك الموت المتداولة فتحتاج إلى تخريج نصوصها، ولم تُثبت هنا تفاصيلها. وبهذا لا يسقط حضور الأسرة من البحث، ولا نُحمل قصصها ما لم يثبت من أسماء أو حوارات.

ويمتد أثر بشارة البيت إلى قصة إسحاق ويعقوب وذرية إبراهيم. ليست البشارة وعداً بفرح عابر، بل حلقة في تاريخ النبوة. ومع ذلك فالانتساب إلى هذا البيت لا يلغي مسؤولية الأبناء، كما لا يقتضي أن يكون لكل فرد مشهد ملائكي مسمى.

وفي قصة يوسف تكشف عبارة النساء عن «ملك كريم» صورة الملك في الوجدان البشري بوصفه مثلاً للجمال والكرامة. لكنها تشبيه يصدر عن الناظرات إلى يوسف؛ لا خبر يخبر به القرآن أن يوسف ملك. والتفريق بين كلام الشخصيات في القصة وبين التقرير الإلهي عن حقيقة الموجودات ضروري في كتاب موضوعه الأسماء والصفات.

كذلك لا نخلط «راحيل» الذي يرد اسماً لملك في بعض أخبار تزويج فاطمة عليها السلام، بالمرأة التي تذكرها كتب التاريخ في أسرة يعقوب. تشابه اللفظ لا يوحد الشخصيات، والمصدر والسياق هما اللذان يعينان المقصود. وهذه قاعدة تنطبق على إسماعيل أيضاً حين يرد اسماً لنبي واسماً لملك في خبر المعراج.

من مراجع الآيات في الفصل: إبراهيم ٣٧؛ يوسف ٣١.

الفصل ٢٣: الملائكة مع موسى وهارون وبني إسرائيل

يشمل تاريخ بني إسرائيل وحياً وتأيداً وابتلاءات متتابعة، لكن ليس كل موضع فيه مذكوراً باسم ملك. ومن أصرح المواضع في هذا الباب حمل الملائكة للتأبوت في سياق تثبيت ملك طالوت.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ ٢٤٨

سورة البقرة، الآية ٢٤٨

تربط الآية بين التابوت والسكينة والبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، ثم تصرح بحمل الملائكة له. لا تسمي عدد الحاملين ولا أسماءهم، ولا يتوقف فهم الدلالة على معرفة ما لم تسمه. فالمشهد حجة لقوم بعينهم، ولا يصح تحويله إلى قصة مفتوحة لكل تفصيل شائع.

وفي حياة موسى يذكر القرآن الوحي والنداء والتكليم. ولا يجوز أن نجعل جبرئيل وسيطاً في كل خطاب إلى موسى لمجرد أنه أمين الوحي؛ فقد وصف الله موسى بالتكليم، ولكل موضع دلالة. وكذلك فإن وحي الله إلى أم موسى لا يدل بنفس لفظه على إرسال ملك مرئي إليها، ولا يجعلها نبية بالضرورة.

وتحتاج أخبار وفاة موسى وهارون ولقائهما بملك الموت إلى تحقيق يحفظ مقام النبوة، ولا يقبل كل ما شاع في كتب القصص. لن نضيف حادثة لم تتضح حجتها لكي يبدو الفصل مكتمل السيرة. ويظل اسم هارون حاضراً بصفته نبياً من البشر، لا بوصفه اسماً لملك لمجرد التشابه مع هاروت.

تأتي علامة التابوت في سياق اعتراض بني إسرائيل على ملك طالوت. فقد طلبوا قائداً، ثم اعترض بعضهم على اختياره لقلّة ماله، فجاء البيان بأن الله اصطفاه وزاده بسطة في العلم والجسم. وبعد ذلك ذكرت علامة التابوت الذي تحمله الملائكة. ليست العلامة إذن منفصلة عن امتحان قبول الاختيار الإلهي.

وفي التابوت سكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، كما يقول النص. أما شكل التابوت وتفاصيل ما فيه وطريقة حمل الملائكة له، فلا تشرحها الآية شرحاً يستوعب كل ما رسمته الحكايات اللاحقة. نستطيع وصف ما قالته: علامة يستدل بها على صدق الخبر، وطمأنينة تتصل بميراث النبوة، وحمل تقوم به الملائكة.

ومن المهم أن نفرق هنا بين هارون النبي وهاروت الملك؛ فالتقارب في بعض الحروف لا صلة له بالهوية. هارون أخو موسى وشريكه في الرسالة، وهاروت ورد مع ماروت في سياق آخر تماماً. والضبط اللغوي في هذه المواضع يمنع أخطاء قد تبدو صغيرة ثم تنتقل إلى الفهارس والذاكرة.

ويستعمل فرعون الاقتراح الملائكي في جدله مع موسى:

﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ ٥٣

سورة الزخرف، الآية ٥٣

جمع الاعتراض بين علامة للزينة والسلطان في نظره، وبين مصاحبة الملائكة. وهكذا يقيس الرسالة بمظاهر يعرفها من بلاطه، ثم يريد من النبي أن يأتي بما يوافق هذا المقياس. ولا تقول الآية إن موسى لم يؤيده الله، بل تكشف طريقة خصمه في صرف الناس عن الحجّة إلى المظهر.

وترد في قصة السامري عبارة «أثر الرسول»، وهي من المواضع التي تحتاج إلى التمييز بين لفظ القرآن وتعيين الشخصية في التفسير:

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ ٩٥ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ ٩٦ ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ ٩٧

سورة طه — ٩٧-٩٥

لا تسمي الآيات جبرئيل صراحة. لذلك يبقى القول بأن الرسول هنا جبرئيل، وما يضاف إلى ذلك من قصة أثر الدابة، تفسيراً له أدلته ومناقشاته، ولا يجعل الاسم جزءاً من النص القرآني. والآيات نفسها تعرض اعتراف السامري وما سوّلت له نفسه ثم الحكم عليه؛ فلا يقرأ فعله نموذجاً مقبولاً للتعامل مع الآثار أو الغيب.

من مراجع الآيات في الفصل: البقرة ٢٤٨؛ الزخرف ٥٣.

الفصل ٢٤: الملائكة مع بقية الأنبياء والأمم

يتكرر في قراءة القصص سؤال هوية الشخصيات التي تدخل على النبي أو مخاطبه. وقد عيّنت بعض التفاسير شخصيات بأنها ملائكة في مواضع لا يصرح القرآن فيها بهذا التعيين. ومن أشهر الأمثلة الخصمان في قصة داود.

﴿* وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ٢١ ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ ٢٢ ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَلِيَ نَعِجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أُكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ ٢٣ ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ٢٤ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ ٢٥

سورة ص، الآيات ٢١-٢٥

يسرد النص تسور المحراب، وفرع داود، وعرض الخصومة، ثم استغفاره وإنابته. لكنه لا يقول في هذه الآيات إن الخصمين جبرئيل وميكائيل أو يذكر لهما اسمين. لذلك يبقى تعيينهما ملكين قولاً تفسيراً يحتاج إلى مستنده، ولا يحمل إلى متن القصة باعتباره نصاً قرآنياً.

وتُقرأ القصة في الإطار الإمامي مع حفظ عصمة الأنبياء، فلا تقبل حكايات اتهام داود بجرائم لم يثبتها القرآن ولا الخبر المعتبر. كما لا يكفي رفض تلك الحكايات لاختيار أي بديل تفصيلي؛ بل يظل البديل محتاجاً إلى حجة أيضاً.

وفي أخبار سليمان وأيوب ويونس وشعيب وإلياس واليسع وذي الكفل مواضع واسعة للبحث في الروايات. ولا يعني ذكر هذه الأسماء أن لكل واحد قصة ملائكية مثبتة في هذا الفصل. فالنبي المذكور في القرآن قد تروى عنه تفاصيل إضافية متفاوتة، وواجب الجمع أن يسجل مصدر كل تفصيل قبل تبنيه.

ومن هنا نفصل في الفهارس بين «شخصية وردت في سياق البحث» و«شخصية ثبتت لها واقعة ملائكية محددة». هذا أدق من زيادة عدد القصص بربط غير موثق، وأحفظ لمقام الأنبياء ولحق القارئ في معرفة مقدار الدليل. وتظهر في قصة داود قيمة الحكم قبل اكتمال السماع. يدخل الخصمان على نحو يفزعه، فيطلبان حكماً بالحق، ثم تعرض دعوى أحدهما. وبعد جواب داود يأتي استغفاره وخروره وعودته إلى ربه. إن الدرس الذي تنص عليه القصة يتصل بالعدل والانتباه إلى الابتلاء، سواء أخذ بتعيين الخصمين من الملائكة في تفسير ما أم اقتصر على ما صرحت به الآيات.

أما سليمان فلا يجوز أن تُنسب إليه كل قصة سحر متداولة، وقد نفى القرآن عنه الكفر في آية هاروت وماروت. وأما تسخير الجن له فليس هو تسخير الملائكة؛ فقد سمى القرآن الجن والشياطين في مواضعها. لا ترفع غرابة العمل هذا الفرق بين الأجناس.

وفي أخبار أيوب ويونس وغيرهما يظل الدعاء والنجاة والصبر محور البيان القرآني. قد ترد روايات تضيف حضور ملك أو تبليغ أمر، لكن كغالباً عن الملائكة لا يكتسب اتساعه بإقام ملك في كل قصة. اتساعه أن يبين متى صرح النص بالحضور، ومتى جاء التعيين من خبر مستقل، ومتى بقي الأمر دون تسمية.

ويظهر تمييز النبوة من الملكية الملائكية في خطاب نوح لقومه أيضاً:

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٣١

سورة هود، الآية ٣١

يجمع الخطاب نفي دعوى خزائن الله وعلم الغيب الذاتي وكونه ملكاً، ثم يرفض الحكم على من تزدرى أعين القوم بأن الله لن يؤتيهم خيراً. فالتواضع في دعوى المعرفة يتصل هنا بالعدل في النظر إلى الناس. وليس الإنصاف ضعفاً في مقام النبي، بل من صدق ما يبلغهم به عن ربه.

من مراجع الآيات في الفصل: ص ٢١-٢٥، هود ٣١.

الفصل ٢٥: هاروت وماروت والعلم والابتلاء

يرد الاسمان في آية طويلة ينبغي ألا تُجزأ بطريقة تحذف تحذير المَلَكَيْنِ أو تخلط بين فعل الشياطين وبين مهمتهما. فالآية تبدأ بتبرئة سليمان من الكفر، ثم تذكر التعليم والابتلاء وسوء استعمال المعرفة.

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ١٠٢

سورة البقرة، الآية ١٠٢

في القراءة المشهورة للفظ «المَلَكَيْنِ» يأتي الاسمان في سياق بابل. ويعلن النص أنهما لا يعلمان أحداً حتى ينهبانه إلى الفتنة وينهباه عن الكفر. ولذلك لا يصح أن تُختصر القصة في أنهما علما الناس الشر دون تحذير، أو أن يضاف إليها سقوط أخلاقي لمجرد وروده في بعض الحكايات.

ولا تذكر الآية قصة امرأة اسمها الزهرة ولا شرب الخمر ولا الزنا ولا عبادة صنم. نسبتها إلى الآية خطأ، والقبول بها كرواية يحتاج إلى فحص مستقل لا يتجاوز محكم وصف الملائكة. كما لا نخلق ترجمة للاسمين أو نجزم بأصلهما اللغوي على أساس تشابه صوتي.

يظهر في الحدث معنى مسؤولية المتعلم. فالمعرفة لا تعفي صاحبها من السؤال عن الغاية والأثر، وقد يتعلم ما يضر به غيره. ولا تعطي الآية وصفة عملية للسحر، ولا تجعل هذه الأفعال قدرة مستقلة تخرج عن سلطان الله. وهنا تكون دراسة القصة باباً في التوحيد والأمانة، لا مدخلاً إلى تعليم الأذى أو استحضار قوى مزعومة.

ولفهم الآية ينبغي تتبع أفعالها: تتحدث عن اتباع ما تتلوه الشياطين، وتنفي الكفر عن سليمان، وتذكر التعليم والامتحان والتحذير، ثم سوء استعمال المتعلمين لما عرفوه في التفريق بين المرء وزوجه. فالملك لا يغري بالضرر في منطوقها، بل يقدمان التحذير قبل التعليم.

والفتنة هنا امتحان، لا حكم مسبق بالفساد على من جعل موضعاً له. قد يعرف الإنسان أمراً يمكن أن يستعمله في الأذى ثم ينهى عن ذلك الاستعمال. وليس العلم بالشيء مساوياً لاختياره أو الدعوة إليه. ومن هنا يكون فصل التعليم عن الإضرار مفتاحاً في قراءة المقطع.

ويجمع المجلسي في باب عصمة الملائكة أخباراً واتجاهات مختلفة، منها نص من التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري يرفض قصة الزنا والخمر والقتل المنسوبة إلى هاروت وماروت، ويحتج بأصل طاعة الملائكة. [١] ونسبة التفسير وطرقه موضع بحث، فلا نجعل هذا النقل وحده حكماً نهائياً على جميع الروايات؛ لكنه يبين أن التراث الإمامي نفسه لم يعرض القصة الشعبية باعتبارها تفصيلاً متفقاً عليه.

من مراجع الآيات في الفصل: البقرة ١٠٢.

[١] بحار الأنوار، ج ٥٦، باب ٢٥: عصمة الملائكة وقصة هاروت وماروت، ص ٣١٩-٣٢٣، النقل عن التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام. هذا تعيين لموضع الاتجاه التفسيري، لا تصحيح مستقل لطريق الكتاب.

الفصل ٢٦: الملائكة مع زكريا ومريم وعيسى

تبدأ البشارة في بيت زكريا وهو قائم يصلي. ويجمع الخبر اسم المولود ووصفه، فيضع الفرح في سياق العبادة والهداية.

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْحَرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٣٩

سورة آل عمران، الآية ٣٩

النداء من الملائكة مصرح به، لكن الآية لا تسمي المنادي فرداً. ومن ثم لا نغير الجمع إلى اسم شخصي إلا مع بيان مصدر التعيين. ثم ينتقل الحديث إلى مريم، التي تُخاطب بالاصطفاء والتطهير والعبادة.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ ٤٢ ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ٤٣ ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا لَهُمْ آيٌهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ٤٤ ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ٤٥

سورة آل عمران، الآيات ٤٢-٤٥

لا تختزل هذه الآيات مريم في دور الأم وحده؛ فهي صاحبة خطاب بالاصطفاء، وصاحبة عبادة، ثم تأتيا البشارة بعيسى. ويجب أن يظهر هذا الترتيب في السرد حتى لا تُحجب الشخصية النسائية وراء الحدث الذي سيأتي بعدها.

وفي سورة مريم يتسع المشهد بالتمثل والاستعاذة والحوار:

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ١٨ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ١٩ ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ٢٠ ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ ٢١

سورة مريم، الآيات ١٨-٢١

تظهر عفة مريم واستعاذتها بالله، ويعرف الرسول نفسه بما أرسل به. ولا يجعل ذلك الملائكة سبباً مستقلاً لخلق عيسى؛ فالأمر لله. أما تأييد عيسى بروح القدس فيرد في مواضع قرآنية أخرى، ويقرأ مع دراسة معنى الروح في سياقه، لا بافتراض أن اللفظ له تفسير واحد في كل استعمال.

بهذا تنتهي جولة الأنبياء في هذا الباب إلى مثال يجمع الوحي والبشارة والخلق والمسؤولية. وحين تنتقل إلى النبي محمد ﷺ، تبقى الأمانة نفسها: ذكر ما يقوله النص، وحفظ أسماء الرجال والنساء، وعدم نسبة زيادة إلى القرآن لم يذكرها.

ومن أجمل ما يجمع هذه المشاهد أنها تأتي في مواضع تبدو فيها الأسباب البشرية ضيقة: زكريا كبير، وامرأته عاقرة، ومريم لم يمسهما بشر. فالرسالة الملائكية لا تنكر هذه الأحوال، بل تنقل وعداً بقدره الله التي لا يقيدوها عجز الأسباب في نظر الإنسان.

ويبقى لكل مشهد خطابه. بشارة زكريا تسمي يحيى وتصفه، وخطاب مريم يبدأ باصطفائها وتطهيرها ثم يحمل بشارة عيسى، وتمثل الروح لها يعقبه جواب يطمئنها إلى غاية المحي. فلا نصنع من الرسائل الثلاث حواراً واحداً، ولا ننسب إلى المتكلم في إحداها ألفاظاً لم ترد إلا في الأخرى.

ويذكر القرآن تأييد عيسى بروح القدس:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ ٨٧

سورة البقرة، الآية ٨٧

فالتأييد متصل بأداء الرسالة والبيانات، ولا يجعل عيسى جزءاً من عالم الملائكة، كما لا تجعل ولادته من غير أب أمه خارج البشرية. إن المشاهد كلها تحفظ التمييز بين الرب الخالق، والرسول المبلغ، والإنسان الذي تقع له البشارة، والمعجزة التي يجريها الله.

ولا ينحصر ذكر تأييد عيسى بروح القدس في البقرة ٨٧؛ فقد تكرر في سياق تفضيل الرسل، ثم جاء في خطاب تذكيره بنعم الله:

﴿* تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيْنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ٢٥٣

سورة البقرة — ٢٥٣

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيْنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ١١٠

سورة المائدة - ١١٠

تربط آية المائدة التأييد بالتعليم والكلام والآيات التي يجريها الله على يديه، ويتكرر فيها قيد الإذن. وهذا يحفظ أصل التوحيد في المعجزات كما يحفظه في الوساطة الملائكية. وتذكر آيتان أخريان مريم وحفظها ونفخ الروح:

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ٩١

سورة الأنبياء - ٩١

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنْ

الْقَاتِنِينَ﴾ ١٢

سورة التحريم - ١٢

تُقرأ هذه المواضع مع تمثل الروح ورسالة البشارة في سورة مريم، من غير تحويل الإضافة إلى الله إلى تبعيض لذاته، ومن غير استبدال عبارة «من روحنا» باسم ملك لا يذكره لفظ الآيتين.

من مراجع الآيات في الفصل: آل عمران ٣٩؛ آل عمران ٤٢-٤٥؛ مريم ١٨-٢١؛ البقرة ٨٧.

الباب الرابع

الملائكة مع النبي محمد وأهل بيته عليهم السلام

الفصل ٢٧: الملائكة في أخبار مولد النبي ونشأته

تتسع أخبار مولد النبي ونشأته في كتب السيرة والمناقب، غير أن كثرة ما يروى تستدعي دقة أشد في تعيين المصدر. فلا تُصنع من مجموع الأخبار المختلفة صورة واحدة نطلق عليها التاريخ الثابت لكل مرحلة من طفولته.

ومن النصوص المهمة في هذا الباب ما ورد في الخطبة القاصعة من نهج البلاغة عن اقتران ملك عظيم بالنبي منذ كان فطيماً، يسلك به طريق المكارم ومحاسن الأخلاق. [١] يقدم النص رعاية تربوية متصلة، لكنه لا يسمي الملك. لذلك لا نجزم بأنه جبرئيل أو إسرافيل، ولا نعد عبارة «أعظم ملك» اسماً شخصياً جديداً.

ويأتي كلام الإمام علي عليه السلام عن صحبته للنبي واقتدائه بأخلاقه في السياق نفسه. فتبدو التربية والاقتداء محوراً للسرد، لا عرضاً لقوى خارقة منفصلة عن الحياة. ولخديجة موضعها في أخبار البيت الأول للإيمان، دون أن ننسب إليها لقاءات ملائكية محددة لمجرد أهمية مقامها.

أما تفاصيل نزول الملائكة في ساعة الولادة وعددهم وأسمائهم فتبقى مرتبطة بالأخبار التي تنقلها. وليس في الاقتصار هنا على نص محدد انتقاص من مقام النبي، بل حفظ لكرامته من أن تجعل تابعة لحكاية لم تثبت. ويقودنا هذا إلى البعثة، حيث يصبح دور أمين الوحي محدداً بنص القرآن.

تجعل القاصعة اقتران الملك بالنبي منذ الفطام مرتبطاً بسلوك طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم. وهذا مضمون تربوي واضح: الرعاية الإلهية في هذا الخبر ليست استعراضاً للقدرة أمام جمهور، بل تسديداً في بناء الخلق الذي ستعرفه الأمة في رسوله.

ولفظ «أعظم ملك من ملائكته» لا يسمي جبرئيل صراحة في هذا الموضع. وقد يحاول بعض الشراح التعيين أو الربط بينه وبين أخبار الروح، لكن وظيفة الكتاب أن يحفظ الفرق بين نص الخطبة وبين اجتهاد الشارح. لذلك يثبت هذا الوصف في قسم الألقاب، مع الإشارة إلى الخبر الذي ورد فيه.

أما أخبار المولد الكثيرة التي تذكر انفتاح أبواب السماء أو حضور جماعات من الملائكة، فلا يصح جمع جميع تفاصيلها في ليلة واحدة بغير مقارنة طرقها. وما نستطيع عرضه هنا بثقة في تحديد المصدر هو مقطع القاصعة وصلته بمعنى العناية. ثم تمضي الحكاية إلى نزول القرآن، حيث تتكاثر النصوص الصريحة في الوحي وواسطة تبليغه.

[١] نهج البلاغة، الخطبة القاصعة، رقم ١٩٢ في الترقيم الشائع، مقطع رعاية النبي منذ الفطام. عرض بالمعنى.

الفصل ٢٨: نزول القرآن وصحبة جبرئيل للنبي

المعنى المركزي في نزول القرآن أن الرسول البشري يتلقى من الله، وأن جبرئيل أمين على ما يحمل. فلا يكون الوحي اختراعاً نفسياً للنبي ولا رأياً للملك. وقد تقدمت آية البقرة التي تسمي جبرئيل وتحدد نزوله على قلب النبي بإذن الله.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ١٠٢

سورة النحل، الآية ١٠٢

يأتي وصف روح القدس هنا في سياق تثبيت المؤمنين والهداية والبشارة. ويفهم الدور من الغاية التي يخدمها: إبلاغ الحق، لا استعراض صورة الملك. ويؤكد القرآن أيضاً أن صور التكليم ليست صورة واحدة.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ

حَكِيمٌ﴾ ٥١

سورة الشورى، الآية ٥١

تفتح الآية باب التمييز بين الوحي والكلام من وراء حجاب وإرسال الرسول، فلا نفرض واسطة مذكورة في موضع على كل موضع آخر. وكذلك لا ينبغي تحويل كل رواية عن لقاء جبرئيل إلى آية قرآنية أو إلى تشريع مستقل عن البيان النبوي.

وتحتاج أخبار بدء الوحي إلى فحص يحفظ يقين النبي وعصمته. ليست كل قصة اشتهرت في كتب السيرة ملزمة للمنهج الإمامي، ولا يكون رد خبر غير ثابت مبرراً لاختراع خبر بديل. نعرض ما يقوم عليه الدليل ونترك غيره في دائرة التحقيق.

وتجلى الأمانة في هذا الفصل على مستويين: أمانة التبليغ التي يصف بها النص الرسول الملكي، وأمانة النقل التي يجب أن يتحلى بها من يكتب سيرته. فلا تكتمل الكتابة بالمديح وحده، وإنما بصيانة الخبر من الزيادة المجهولة.

وحين يربط القرآن التنزيل بقلب النبي، فإن القلب هنا موضع تلقي الرسالة وحفظها، لا ساحة صراع بين خبر إلهي ووهم مبهم. ويأتي وصف جبرئيل بالأمانة ليثبت أن الوحي بلغ كما أمر، من غير تبديل من الوسيط أو استقلال له بالتشريع.

وتذكر سورة النحل أن روح القدس نزل من الرب بالحق لتثبيت المؤمنين وهدى وبشرى للمسلمين. فوظيفة النزول لا تنتهي بانتقال ألفاظ، بل تتصل بتكوين الإيمان في جماعة تتعلم وتتلقى وتعمل. وفي هذا المعنى يصبح حضور جبرئيل جزءاً من تاريخ الهداية الذي عاشه المسلمون مع القرآن.

والقول بصحبة جبرئيل للنبي في مواقف الوحي لا يقتضي حضوره في كل لحظة بالطريقة نفسها. فالقرآن نفسه يذكر وجوهاً للكلام الإلهي: وحياً، أو من وراء حجاب، أو بإرسال رسول. لا نختزل هذه الوجوه في آية واحدة، ولا نزعم معرفة كيفية كل واقعة ما لم ينقلها مصدرها. الذي يجمعها هو أن الهداية من الله، وأن الرسول أمين فيما يبلغ.

وتأتي شهادة الملائكة للتزليل في موضع صريح:

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ١٦٦

سورة النساء، الآية ١٦٦

كما يجعل القرآن الإيمان بهم من أصول الخطاب الإيماني:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ١٣٦

سورة النساء، الآية ١٣٦

فلا يفصل الإيمان بجبريل عن تصديق الوحي الذي نزل به، ولا يفصل تصديق الوحي عن مصدره الإلهي. وتبقى الشهادة الملائكية في هذا السياق تأكيداً لأمانة الرسالة، لا وسيلة لتجاوز ما أنزله الله إلى دعوى جديدة بلا دليل.

من مراجع الآيات في الفصل: النحل ١٠٢؛ الشورى ٥١؛ النساء ١٦٦؛ النساء ١٣٦.

الفصل ٢٩: الملائكة في الإسراء والمعراج

يثبت القرآن الإسراء، ويجعل إراءة الآيات غاية ظاهرة فيه. أما المشاهد التفصيلية للمعراج فتزد في أخبار متعددة، وتُدرس بحسب مصادرها من غير خلط بين أصل الحدث وتفاصيل كل رواية.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ١

سورة الإسراء، الآية ١

يرد في خبر المعراج في التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي ذكر ملك يقال له إسماعيل عند السماء الدنيا، وترد لقاءات بجماعات من الملائكة وبمالك خازن النار. [١] نسجل اسم إسماعيل هنا بوصفه اسماً مذكوراً في الرواية، ونميزه عن النبي إسماعيل وعن الرواة الذين يحملون الاسم نفسه.

ولا يُحكم على جميع مواد التفسير المطبوع بحكم واحد اعتماداً على عنوان الكتاب؛ فنسبة مواد هذا التفسير وطرقه من موضوعات البحث. كما لا نجعل كل رقم أو هيئة في الخبر قطعياً لمجرد أن أصل الإسرائيليات ثابت بالقرآن. اختلاف مستوى الإثبات داخل الباب الواحد أمر ينبغي إظهاره للقارئ.

وتقرأ مشاهد العبادة والرحمة والعقوبة بوصفها جزءاً من خبر الإراءة. وما لم يصرح به النص لا يُزاد لتصوير المشهد تصويراً سينمائياً. ولا نرسم طبقات السماء على خريطة الكون المعاصر، ولا نقيس مراحل الرحلة بقياسات لم يذكرها المصدر.

ويبدأ خبر المعراج الذي يورده تفسير القمي بصعود جبرئيل مع النبي، ويذكر في السماء الدنيا ملكاً يقال له إسماعيل. ثم يصف لقاء مالك خازن النار وملك الموت، ويعرض صوراً لملائكة في العبادة. [١] هذه التفاصيل تنتمي إلى الخبر الروائي، بينما تثبت آية الإسرائي أصل الإسرائي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

وفي بعض مقاطع هذا الخبر صورة ملك يجتمع فيه الثلج والنار، وتأتي وظيفتها في التسبيح والدعاء بتأليف قلوب المؤمنين. والعبرة في طريقة العرض أن الغرابة لا تجعل منفصلة عن المعنى؛ فالنص يربط القدرة الإلهية بالجمع والتأليف. ومع ذلك لا تتحول الصورة إلى قانون فيزيائي ندعي اختباره.

والأسماء الثلاثة التي نمر بها هنا لا تستقل بهوية جديدة لمجرد ورودها في المعراج: مالك هو الاسم المتصل بخزنة النار، وملك الموت عنوان الوظيفة المعروف، وإسماعيل الملك يفصل في المعجم عن النبي إسماعيل. أما الجماعات التي لم يسمها الخبر فتبقى بأوصافها، ولا نستكمل أسماءها من التخمين.

ومن الآيات الأساسية في بحث رؤية آيات العالم العلوي صدر سورة النجم:

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ٥ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ ٦ ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ ٧ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ٨ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ٩ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ ١٠ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ١١ ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ ١٢ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ١٣ ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ١٤ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ ١٥ ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ ١٦ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ ١٧ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ ١٨

سورة النجم — ١٨-٥

يعرض المقطع التعليم والقوة والأفق والدنو ثم الرؤية عند سدرة المنتهى وإراءة الآيات الكبرى. وتتناول التفاسير تعيين مرجع الضمائر وموضوع الرؤية؛ ومن أشهر وجوها تفسير شديد القوى بجبرئيل. ويحفظ الكتاب الفرق بين ألفاظ المقطع وبين هذا التعيين التفسيري. فلا يجعل القرب قرب مسافة تحيط بالله، ولا يجعل الآيات تصريحاً برؤية ذات الله بالبصر. أما أسماء الملائكة الذين لقيهم النبي في تفاصيل المعراج فتؤخذ من أخبارها، ولا تستخرج من ذكر السدره وحده.

[١] تفسير القمي، ج ٢، تفسير الإسراء ١، خبر المعراج، ولا سيما ص ٤ وما بعدها في الترقيم المطبوع المتداول. حكم التفصيل تابع لتحقيق طريقه.

الفصل ٣٠: الملائكة في مواطن النصر

في بدر جاء المدد مرتبطاً باستغاثة المؤمنين وبثباتهم في مواجهة الخطر. ويسند القرآن النصر إلى الله، مع ذكر الملائكة سبباً للبشارة والطمأنينة.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ ٩ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ١٠ ﴿إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ ١١ ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ١٢

سورة الأنفال، الآيات ٩-١٢

لا تسمح هذه الآيات بإلغاء عمل المؤمنين أو اختزال المعركة في فعل الملائكة. فالطمأنينة تتصل باستعداد البشر وموقفهم، والنصر من الله. كما أن الأوامر الواردة في سياق واقعة حربية محددة لا تعطي للأفراد تفويضاً مفتوحاً بالعنف في كل زمان.

وفي سياق آل عمران ترد أعداد أخرى للمدد مع شروط الصبر والتقوى. ويحتاج الجمع بين الأخبار والأعداد إلى حفظ سياق كل نص؛ فلا نضيفها حسابياً فنستخرج مجموعاً لم يقل به النص.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ٩

يذكر مشهد الأحزاب الريح والجنود التي لم تُرَ وفي التوبة يرد التأيد بجنود لم تُرَ في سياقات أخرى. وليس كل موضع منها تصريحاً باسم ملك أو عدد بعينه، ولذلك تُثبت عبارة القرآن قبل عرض تفسيرها.

وإذا ورد اسم جبرئيل أو ميكائيل في رواية عن معركة، فالاسم يحتاج إلى إحالته الخاصة. أما أصل حضور الملائكة في بدر فصريح، ولا تتوقف دلالة على تعيين هيئة كل فرد أو لون عمامته أو اسم فرسه. إن الرسالة التي يبلغها النص هي الثبات والتوكل، مع بقاء المسؤولية الأخلاقية للإنسان عن عمله.

وتوضح سورة آل عمران صلة المدد بالثبات والشكر:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ١٢٣ ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ ١٢٤ ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ ١٢٥ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ١٢٦

سورة آل عمران، الآيات ١٢٣-١٢٦

يُذكر بدر مع حال الضعف، ثم وعد الإمداد، ثم رد النصر إلى الله. فلا يكفي حفظ أعداد الملائكة إذا غاب عن القراءة أن النص يربطها بالصبر والتقوى، ويجعل البشرى وطمأنينة القلوب من حكم المدد. والأعداد في هذه الآيات مرتبطة بسياقها وشروطها، ولا تجمع حسابياً لتصبح عدد جميع من نزل في كل واقعة.

وفي الأحزاب تختلف هيئة المشهد: ريح وجنود لم يروها. وهنا يكون عدم الرؤية جزءاً من الخبر، فلا يصح بناء أوصاف بصرية لما لم تصفه الآية. وكذلك لا يجوز نقل تفصيل روائي من بدر إلى الأحزاب لمجرد أن الموضوع في الموضعين نصر.

إن الإيمان بالمدد لم يُسقط عن المؤمنين واجب الثبات أو حسن التدبير أو احتمال المشقة. ولهذا لا يقرأ هذا الفصل بوصفه وعداً بأن كل معركة يخوضها أحد ستنتهي له بالغلبة، وإنما بوصفه عرضاً لنصوص محددة في تاريخ الرسول، بحكمتها وشروطها التي ذكرها القرآن.

وفي سياق بيت النبي ونصرته يرد اسم جبريل مع الملائكة:

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ ٤

سورة التحريم، الآية ٤

فالحضور الملائكي هنا في مقام التأييد ضمن سياق الآيات الخاص، ولا يفصل عنه ليصبح خبراً عن معركة أخرى. كما يورد القرآن من مطالب المعاندين اقتراح إحضار الملائكة مواجهة:

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ ٩٢

سورة الإسراء، الآية ٩٢

وعند المقارنة يتبين الفرق بين نصر يأذن به الله ورسالة يحملها الملك، وبين طلب يصوغه المكذب ليجعل إيمانه معلقاً على شرط من عنده.

وقد ورد ذكر الجنود التي لم تُر في سورة التوبة أيضاً، في سياق حنين، ثم في سياق إخراج الرسول والغار: ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ ٢٦

سورة التوبة — ٢٦

﴿إِلَّا تَتَصَدَّقُوا فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٤٠

سورة التوبة — ٤٠

بهذين الموضعين تكتمل المقارنة مع بدر والأحزاب. يثبت القرآن مدداً من عند الله، بينما تبقى هيئة الجنود وأسماؤهم وتفاصيل فعلهم تابعة لما يثبت من التفسير والرواية. ولا تُنقل أعداد بدر إلى هذين السياقين بلا نص.

من مراجع الآيات في الفصل: الأنفال ٩-١٢، الأحزاب ٩، آل عمران ١٢٣-١٢٦، التحريم ٤، الإسراء ٩٢.

الفصل ٣١: الملائكة في بيت النبوة

يمتد الحديث الإمامي عن الملائكة إلى أهل البيت عليهم السلام، مع الفصل الواضح بين النبوة المختومة وبين التحديث والتسديد. فليس كل خطاب من مَلَك إعلان نبوة أو تشريعاً جديداً، كما ظهر من قبل في خطاب مريم.

يروى الكليني عن أبي عبيدة، عن الإمام الصادق عليه السلام، خبر إتيان جبرئيل إلى فاطمة بعد وفاة النبي، وتعزيتها وإخبارها عن أبيها وما يكون في ذريتها، وكتابة علي لما يُلقى إليها. [١] يعرض الخبر مضمون مصحف فاطمة في هذا السياق، ولا يسوّغ وصفه بأنه قرآن بديل. وكلمة المصحف في أصل الاستعمال لا تختص بكل كتاب بنص القرآن.

وقد نقلت النسخة الحديثية التي روجعت تصحيح المجلسي لهذا الخبر في مرآة العقول. وهذا حكم منسوب إلى صاحبه في خبر معين، لا تصحيح عام لجميع أخبار الباب. كما أن المدة المذكورة فيه بعد وفاة النبي تبقى جزءاً من الرواية ولا تعالج وحدها جميع الاختلافات التاريخية.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ^ط وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ ٤٠

سورة الأحزاب، الآية ٤٠

يشكل ختم النبوة حدّاً لا يتجاوزه التأويل في المنهج الإمامي. فالتحديث، حيث يثبت، لا يُنشئ رسولاً بعد محمد صلى الله عليه وآله، ولا يعطي أحداً حق نسخ شريعته. ومن هنا تقرأ أخبار علي وفاطمة والحسن والحسين وأبنائهم في إطار الهداية الموروثة، مع تخرّيج كل خبر وتجنب ضم المختلف إلى الصحيح بلا بيان.

ومن الأسماء الأقل شيوعاً «زوقايل»، وقد نقله المجلسي في بحار الأنوار ضمن مادة مناقب فاطمة عليها السلام، في خبر إدارة الرحي، مع ذكر جبرئيل في خبر آخر. [٢] نثبت موضع هذا الاسم ولا نحكم بأن الخبرين واقعة واحدة، أو بأن اختلاف التسمية تصحيف، قبل مراجعة أصول النقل. كما لا نجعل ورود الاسم في كتاب جامع شهادة مستقلة بصحة القصة.

ويضاف إلى أسماء هذا الباب «راحيل»، الوارد في أخبار تزويج أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام. ينقل المجلسي خبراً يذكره ملكاً يخطب في جمع من الملائكة، ويتصل الخبر بالشارة بالذرية ومكانتها. [٣] فلا علاقة لهذا الاستعمال براحيل التي تذكرها أخبار أسرة يعقوب، وإن اتفق اللفظ.

وتتنوع صيغ أخبار الزواج في المصادر التي جمعها المجلسي؛ ففي بعضها تفصيل للتزيين والخطبة، وفي بعضها اختصار. لذلك لا نمزج ألفاظها لنعيد إنتاج خطبة واحدة وندعي أنها النص المروي. نثبت الاسم ومجاليه ونحيل إلى الطريق المعين، ونحفظ الروايات الأخرى مواضع للمقارنة.

أما خبر إتيان جبرئيل فاطمة بعد وفاة أبيها في الكافي، فيظهر وجهاً آخر للحضور الملائكي: التسلية والإخبار، مع كتابة أمير المؤمنين لما يرد في الخبر. وهو غير نزول قرآن جديد، ولا يغير ختم النبوة. فالتفريق بين النبوة وبين الحديث والتسديد أصل في فهم هذا الباب ضمن الرؤية الإمامية، وليس كل خطاب من ملك دعوى رسالة تشريعية جديدة.

ويفرد الكافي باباً لدخول الملائكة بيوت الأئمة وإتيانهم بالأخبار، وفيه خبر مسمع كردين البصري عن الإمام الصادق عليه السلام يذكر مصابحتهم على الفرش ولطفهم بالصبيان. [٤] يضيف هذا الباب وجهاً منزلياً للحضور الملائكي إلى أخبار التحديث والتسديد. وتقرأ رواياته متفرقة بأسانيدها، ولا تستلزم النبوة لأحد بعد خاتم النبيين. كما لا يملك القارئ أن يقيس عليه دعوى شخصية بلقاء الملائكة؛ فالحديث عن مورد منقول لا يصنع حجة عامة لكل مدع.

[٤] الكافي، ج ١، كتاب الحجّة، باب أن الأئمة تدخل الملائكة بيوتهم وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار عليهم السلام، الحديث ١؛ وانظر الحديث ٣ في زغب الملائكة. تثبت هنا مواضع الأخبار دون تسوية طرق الباب في الحكم.

[١] الكافي، كتاب الحجّة، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة، الحديث ٥؛ مرآة العقول، ج ٣، ص ٥٩، بحسب إحالة النص الرقي الذي تمت مراجعته.

[٢] المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٤٦، ضمن النقل من المناقب في فضائل فاطمة عليها السلام، وتبدأ مجموعة النقول برقم ٤٤ في ص ٤٤. استخدم الموضع لتسجيل الاسم دون حكم بصحة طريق الخبر.

[٣] المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، باب تزويج فاطمة عليها السلام، ص ١٠٢-١٠٤، الحديث ١٢ وما يتصل به من طرق في الحديث ١٣؛ وانظر ص ١١٠ في النقل عن مناقب ابن شهر آشوب. ورد اسم راحيل صريحاً، ولم يُصدر هنا تصحيح شامل لهذه الطرق.

الفصل ٣٢: فطرس وأسماء الملائكة في أخبار أهل البيت

تحتل قصة فطرس مكاناً مشهوراً في أخبار مولد الإمام الحسين عليه السلام. وتحتاج شهرتها إلى أن تُقرأ مع أصلها، لأن الصور التي تتداولها المجالس قد تجمع تفاصيل من طرق مختلفة.

يروى الصدوق في الأمالي عن الإمام الصادق عليه السلام خبر هبوط جبرئيل للتهنئة بمولد الحسين، ومروره بملك يقال له فطرس كان قد أصيب جناحه، ثم ذكر ما جرى له عند المولود. [١] فالاسم له موضع محدد في

كتاب حديثي، وليس مجرد تسمية حديثة. لكن إثبات موضعه شيء، والحكم بصحة جميع أحداث الخبر شيء آخر.

وفي كمال الدين يروي الصدوق عن ابن عباس خبر مَلَك يسمى درداًئيل، ويتضمن فقد مقامه وأجنحته ثم الدعاء له ببركة المولود. [٢] لا يجوز دمج درداًئيل بفطرس لمجرد تشابه عناصر القصتين، كما لا يصح عد التشابه وحده برهاناً على تعدد الوقائع. ثبت كل اسم مع خبره، ونترك المطابقة حيث لا دليل عليها.

ويشير الخبران سؤالاً عن العلاقة بين ما يروى عن العقوبة وبين أصل طاعة الملائكة. لا يُحل السؤال بمجرد إطلاق تعبير «ترك الأولى»، لأن هذا أيضاً تفسير يحتاج إلى حجة. يبدأ البحث من السند وتاريخ النص، ثم دلالة الألفاظ وإمكان جمعها مع الحكم. ولذلك لا يُصدر هذا الفصل حكماً نهائياً بصحة القصتين ولا يبيّن عليهما أصلاً عقدياً.

ويذكر المجلسي اسماً آخر هو «صلصائيل»، في مقتطف من حديث طويل للمفضل ينسب إلى الإمام الصادق عليه السلام، ويحيل إلى إيراد إسناده في كتاب الغيبة من موسوعته. [٣] ويرتبط المقتطف أيضاً بولادة الإمام الحسين والدعاء للملك. لا يثبت هذا الاشتراك أن الأسماء الثلاثة للملك واحد، ولا يثبت أنها ثلاث وقائع مستقلة؛ فهذه مسألة مقارنة تتجاوز تسجيل الأسماء.

تُحفظ أخبار فطرس ودرداًئيل وصلصائيل في مواضعها المستقلة، مع تمييز مصدر كل اسم وسياقه. إن ورود الاسم في التراث نتيجة توثيقية، أما ثبوت جميع تفاصيل الخبر وتأويل ما يبدو منه مخالفاً لأصل العصمة فبحث آخر لا يحسمه تشابه القصص.

وفي خبر فطرس الذي يرويه الصدوق تتابع عناصر الحكاية: هبوط جبرئيل للتهنئة، ومروره بفطرس، وحمل طلبه، ثم ما يذكره الخبر من عودة العافية إلى جناحه ببركة الحسين. عرض هذه العناصر من المصدر أضبط من الاكتفاء بصورة «الملك المكسور» التي قد تنفصل في الذاكرة عن زمن الخبر ومناسبته.

أما درداًئيل فيرد في خبر آخر من طريق ابن عباس، ويتصل سؤاله بمقامه ثم بفقد الأجنحة وعودتها بالدعاء. لا يثبت هذا الطريق بمجرد تشابه خاتمته مع خبر فطرس، ولا تُنقل أعداد أجنحته إلى الاسم الآخر. وفي صلصائيل يذكر المجلسي مقتطفاً من خبر المفضل، فتكون معرفة أصل النقل شرطاً قبل إعطاء المقتطف منزلة سند قائم بنفسه.

والنتيجة التي يعتمد عليها الكتاب محددة: هذه أسماء موجودة في مدونة الرواية التي عيّنا مواضعها، وتفصيلها ليست في رتبة الأسماء القرآنية. نحفظها للقارئ لأن طلب معرفة الأسماء يشمل المختلف في أخباره، ونبين مرتبتها لأن الجمع لا يعني التصحيح. ولا نجعل الإيمان بكرامة الحسين متوقفاً على ثبوت كل تفصيل في هذه الأخبار، ولا نجعل نقد طريق منها انتقاصاً من مقامه.

- [١] الصدوق، الأمالي، المجلس الثامن والعشرون، الحديث ٩، رقم ٢١٥ في طبعة مؤسسة البعثة، ص ٢٠٠ وما بعدها.
- [٢] الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، باب نص النبي على القائم والأئمة، الحديث ٣٦، ص ٢٨٢-٢٨٤ في النسخة المراجعة.
- [٣] المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٥٨-٢٥٩، الحديث ٤٧؛ وهو مقتطف مع إحالة المجلسي إلى حديث المفضل المطول، وليس سنداً مستقلاً كاملاً في هذا الموضع.

الفصل ٣٣: الملائكة وكربلاء

تربط أخبار كثيرة في التراث الإمامي بين الملائكة والإمام الحسين عليه السلام، من الإخبار بشهادته إلى زيارة قبره والدعاء لزواره. ولا يصح اختزال هذا الباب في خبر واحد أو تصحيح جميع طرقه لمجرد وحدة موضوعه.

يعقد ابن قولويه في كامل الزيارات باباً في تشييع الملائكة لزائر الحسين واستقبالهم له وعيادته إذا مرض. وفيه أخبار عن أربعة آلاف ملك موكلين بقبره. [١] ويظهر من تعدد الطرق أن أمام الباحث مادة ينبغي أن تُدرس رواية رواية؛ فتعدد الأخبار لا يلغي اختلاف رجال الأسانيد وألفاظ المتن.

وفي الحديث التاسع من الباب نفسه يذكر خبر أبان بن تغلب أن رئيس الملائكة المذكورين ملك يقال له «المنصور»، مع ارتباط الخبر بانتظار قيام القائم. [٢] أثبت الاسم في المعجم لأن موضعه موجود في المصدر، دون الجزم باستقلاله اسماً شخصياً عن احتمال اللقب، ودون دعوى تصحيح الخبر كله.

تتصل هذه الروايات بمعاني الوفاء للمظلوم واستمرار أثر الشهادة. لكن العبرة لا تبرر نسبة رقم أو قول إلى المعصوم من غير تخريج. كما لا يُستخرج من أخبار الثواب إعفاء من واجبات الناس أو حقوقهم؛ فالمعنى الديني للزيارة لا ينفصل عن الاستقامة والعدل.

ويمتاز الباب الذي عقده ابن قولويه بأن العناية فيه لا تتعلق بالقبر وحده؛ بل تتصل بالزائر في قدومه وعودته ومرضه. فالملائكة في تلك الأخبار يشهدون فعل الزيارة ويدعون، وتدخل صلة الزائر بصاحب القبر في سياق الرحمة والوفاء. وليس كل ما في الباب رواية واحدة، ولذلك تحال الألفاظ والأعداد إلى أحاديثها.

وتسجيل «المنصور» مفيد من جهتين: يحفظ اسماً أو لقباً لا يشيع بقدر أسماء الملائكة الكبرى، ويكشف أن أخبار الملائكة في كربلاء تتصل في بعض طرقها بالرجاء في قيام العدل. لكن هذا الاتصال لا يجيز تأريخ الظهور أو تعيين حوادث عصر بعينه بوصفها تحقيقاً لازماً للخبر.

ويبقى الموقف الإنساني من كربلاء واضحاً دون إضافات متخيلة: شهادة ومظلومية ووفاء للحق. وحين يذكر الخبر حضور الملائكة أو حزنهم أو زيارتهم، يروى على قدر مستنده. بهذا لا يفقد السرد حرارة المعنى، ولا تُمنح العاطفة حق إنشاء واقعة لم يقلها المصدر.

[١] ابن قولويه، كامل الزيارات، الباب ٧٧، الأحاديث ١-٨، بحسب ترقيم النسخة المراجعة.

[٢] المصدر نفسه، الباب ٧٧، الحديث ٩. اسم المنصور وارد في متن هذا الخبر، لم يُحسم تصحيحه هنا.

الفصل ٣٤: الأئمة ولية القدر وأخبار الظهور

تحمل سورة القدر بياناً موجزاً شديد الدلالة عن نزول القرآن وفضل الليلة وتنزل الملائكة والروح. ولا يستغنى في فهمها عن قراءة السورة كاملة.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ١ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ٢ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ٣ ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ٤ ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ ٥

سورة القدر، الآيات ١-٥

يثبت النص التنزيل بإذن الله، ولا يسمي في الآيات أشخاصاً من البشر ينزل عليهم الملائكة بعد النبي. أما القراءة الإمامية التي تربط استمرار الليلة بالحجة فتستند إلى الروايات، وينبغي أن تذكر على هذا الأساس لا بوصفها اسماً صريحاً في السورة.

ومن المادة التي تساعد على فهم هذا الإطار خبر الروح الذي يسدد الأئمة في الكافي، وقد تقدم تخريجه في الفصل السابع. [١] وترد في كمال الدين روايات في ليلة القدر وصلتها بعلي وولده، لكن لا يسوّى بينها في الحكم دون فحص كل طريق. فهذا باب متكامل فيه دلالة الآية مع البحث الحديثي، لا باب لإغناء أحدهما عن الآخر.

وتذكر روايات الظهور مدداً ملائكياً، ومنها الخبر المتقدم في كامل الزيارات عن الملائكة المنتظرين قيام القائم. [٢] ولا تمنح هذه الأخبار حق تعيين زمان الظهور، أو تنزيل كل صوت وحادثة معاصرة على ملك، أو إثبات دعوى شخص بالارتباط بعالم الغيب.

إن الانتظار في هذا المنهج لا يلغي العمل ولا مسؤولية التحقق. ومن حفظ مقام الإمام أن لا نلحق به وقائع لم تثبت، ومن تعظيم الملائكة أن لا نجعل أسماءهم أداة لترويج ادعاءات لا حجة عليها.

ومن دقة سورة القدر أنها تجمع بين الفضل العظيم لليلة وبين غايتها الممتدة إلى مطلع الفجر: السلام. فالليلة ليست وقتاً لطلب السيطرة على الغيب، بل موطن عبادة ورجاء وتنزل بأمر الله. وذكر الروح مع الملائكة يدعونا إلى حفظ خصوصية اللفظ، كما تقدم في فصله.

وفي المنظور الإمامي تقرأ أخبار الحجة استمرار العناية بعد النبي من غير استمرار النبوة. هذا هو الإطار الذي يفسر خبر الروح المسدد للأئمة، ويجعل الحديث عن ليلة القدر متصلاً باستمرار الهداية. لكن اسم الإمام المعين وترتيب ما يلقي إليه يؤخذان من الرواية التي تنص عليهما، لا من إضافة أسماء إلى ألفاظ السورة.

وأخبار نصرة القائم تؤدي معنى الرجاء في تمام العدل، ولا تصنع للمؤلف علماً بتاريخ المستقبل. فكما لم يكن للملائكة أن ينزلوا إلا بأمر ربهم، ليس للقارئ أن يحدد لهم موعداً من عنده. الأمانة هنا امتداد لأصل الحكاية: عبودية تعلم مقدار ما أعلمت، وتنتظر ما أمرت بانتظاره.

[١] الكافي، كتاب الحجة، باب الروح التي يسد الله بها الأئمة، الحديث ١.

[٢] كامل الزيارات، الباب ٧٧، الحديث ٩. وخبر ليلة القدر: كمال الدين، ج ١، الباب ٢٤، الحديث ٣٠، مع ضرورة تحقيق طريقه قبل بناء تفصيل عليه.

الباب الخامس

الملائكة في رحلة الإنسان وحياته اليومية

الفصل ٣٥: الملائكة وبداية حياة الإنسان

تبدأ حياة الإنسان في خفاء لا يشهده بنفسه، ويخاطب القرآن هذا الأصل بما يدعو إلى التواضع والتفكير. أما الأخبار المتعلقة بالملائكة في الرحم فتضيف طبقة غيبية تحتاج إلى أن تُقرأ بعيداً عن استخدامها وصفاً تشريحياً جاهزاً.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٦

سورة آل عمران، الآية ٦

يروى الكليني في باب بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه عن زرارة، عن الإمام الباقر عليه السلام، خبر ملكين يتوليان ما يؤمران به في التصوير والكتابة، ويذكر في آخره ملكاً يقال له «زاجر». [١] نسجل هذه التسمية على أنها وردت في الخبر، مع احتمال علاقتها بوظيفته اللغوية، ولا نعدّ الملكين مجهولي الاسم اسمين شخصيين جديدين.

وورد في الباب خبر أطول يحمل تفاصيل إضافية. لا يجوز اتخاذ هذه التفاصيل، بمجرد ورودها، تعليمات طبية أو إلقاء حكم أخلاقي على جنين بسبب وضعه في الرحم. وتحتاج الألفاظ المتعلقة بمراحل الحمل والميثاق والكتابة إلى بحث مستقل في الدلالة، إضافة إلى السند. فلا يُغني التحقيق الحديثي عن فهم ما تقوله الرواية بالفعل.

كما لا تستلزم كتابة الشقاء والسعادة، حيث تثبت الرواية وتفسر، نفي مسؤولية الإنسان وإكراهه على المعصية. فالعلم بما يقع غير الإجبار عليه. ويحفظ هذا الفصل أصليين: أن الخلق كله لله، وأن التكليف لا يتحول إلى عبث بإلغاء الاختيار. أما الكيفية الغيبية فلا نحولها إلى مشهد مرئي من عند أنفسنا.

وفي أخبار الرحم تتصل الكتابة والعناية ببداية حياة لم تبدأ خبرتها الواعية بعد. يروي باب بدء خلق الإنسان في الكافي تفاصيل في بعث الملائكة وكتابة المقادير، ومنها ورود «زاجر» في سياق الولادة. [١] ويجب أن تُقرأ هذه الروايات داخل لغتها في الخلق والتقدير، لا كأنها تقرير طبي يصف ما تراه أجهزة الفحص.

ولا تعني كتابة ما يعلمه الله أن الإنسان مكره على كل اختيار سيختره. الفرق بين العلم بالفعل وبين الإكراه عليه أساسي في فهم المسؤولية. فالكتاب نفسه الذي يذكر التقدير يدعو إلى العمل ويحاسب عليه؛ ولا يجوز جعل جانب من اللغة الدينية سبباً لإبطال الجانب الآخر.

وتحفظ هذه القراءة كرامة الأم والطفل. فلا يجوز أن يجعل قارئ وضع الجنين أو صعوبة الولادة دليلاً على غضب ملك أو على صلاح المولود وفساده، لأن مثل هذا التعيين لا يقوله الخبر عن حالة بعينها ولا يملكه القارئ. موضع العناية العملية يبقى الرعاية والرفق وأخذ الأسباب المناسبة، وموضع الخبر الغيبي يبقى ما يدل عليه نصه.

[١] الكافي، ج٦، كتاب العقيدة، باب بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه، الحديث ٧؛ والخبر المطول الحديث ٤ في ترتيب الباب الرقي المراجع. استخدم الخبر لبيان موضع التسمية لا لإصدار حكم طبي.

الفصل ٣٦: الحفظة والمعقبات

يضع القرآن الإنسان في عالم من المسؤولية والرعاية، وترد فيه المعقبات والحفظة في سياقات ينبغي ألا تُدمج بلا تفريق. فحفظ العمل غير حفظ الإنسان من حادث، وإن اشترك اللفظ في أصل المعنى.

﴿لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۖ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ ١١

سورة الرعد، الآية ١١

تجمع الآية ذكر المعقبات والحفظ مع مسؤولية القوم عن تغيير ما بأنفسهم. وهذا الجمع يمنع قراءة الرعاية الإلهية عذراً للركون أو التفريط. فلا يقول الإنسان إن الملائكة تحفظه ثم يهمل واجباً أو يعرض نفسه وغيره لخطر معلوم.

وتفسر المعقبات في الموروث التفسيري بالملائكة الحافظة، لكن تفاصيل العدد والتعاقب وكيفية الحفظ تتوقف على الروايات. لا تسمى الآية هنا أفراداً، ولا تقول إن كل من نجا من خطر رأى ملكاً أو عرف هويته. فالنجاة الواقعة لا تكشف بذاتها كيفية التدبير الغيبي.

وعندما ترد الحفظة في الانفطار يوصفون بالكرام الكاتبين، فیدل السياق على رقابة الأعمال. لذلك أفردنا الكتابة بفصل تال. والتمیز بین السياقين یجنبنا إنشاء صورة ملّك واحد یلزم أن یجمع كل وظيفة وردت تحت لفظ الحفظ.

إن الرعاية لا تحو الابتلاء، ووقوع المرض أو المصيبة ليس دليلاً على أن الله تخلى عن إنسان أو أن إيمانه ناقص. یبقى المؤمن مطالباً بالرحمة والعمل، لا بإصدار أحكام على منزلة الناس من حوادث حياتهم.

ویصف القرآن الحفظ في سياق أوسع من إحاطة الإنسان بما یراه. فأمامه وخلفه ما لا ینتبه إلیه، وحياته لیست من صنع حذره وحده. ومع ذلك فإن الحفظ لا یلغي ورود البلاء، ولا یحوّل الإنسان المؤمن إلى من لا یصاب بمرض أو حادث.

ویورد المجلسي عن التوحيد خبراً منسوباً إلى أمير المؤمنين علیه السلام یذكر حفظ الملائكة للإنسان من التردي وسقوط الحائط، ثم تخلیثهم بینه وبين ما یصیبه عند الأجل. [١] وهو عرض لمضمون الخبر، یوضح معنى الحفظ المؤقت بأمر الله، ولا یثبت لكل حادث تعیناً نستطیع قراءته من الخارج.

والتمیز بین الحفظ وكتابة العمل یعین على جمع الآيات. فقد یوصف الملائكة بالحفظ من جهة صيانة الإنسان، ویوصفون في سياق آخر بحفظ ما یصدر عنه. لا یلزم من اشتراك اللفظ أن نلغي اختلاف المقصود، ولا من اختلاف الوظيفة أن نعرف عدد جميع الموكّلين بكل فرد. وتبقى الثمرة القریبة هی استشعار النعمة مع المسؤولية، لا ادعاء معرفة أسماء الحفظة الملازمین لشخص بعینه.

ویرد الحفظ بصیغة موجزة جامعة في سورة الطارق:

﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ ٤

سورة الطارق — ٤

تقرر الآیة أن النفس لیست مهمة، ویبحث معنى الحافظ وتعینیه في التفسیر. وتُقرأ مع آیات المعقبات والكرام الكاتبین، من غیر أن یجعل اختلاف التعابیر كشفاً لعدد ثابت من الملائكة حول كل إنسان.

من مراجع الآيات في الفصل: الرعد ١١.

[١] بحار الأنوار، ج ٥٦، باب ٢٣، ص ١٨٤، الحديث ٢٥، نقلاً عن التوحيد للصدوق؛ یرجع إلى السند المذكور هناك عند الحكم على الطريق.

الفصل ٣٧: الكرام الكاتبون

يكتسب العمل معناه الكامل حين نعرف أنه لا يضيع. ويتحدث القرآن عن الكرام الكاتبين بلغة تربط الرقابة بمعرفة الفعل، لا برغبة في التشهير بالإنسان.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ١٠ ﴿كَرَامًا كَاتِبِينَ﴾ ١١ ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ١٢

سورة الانفطار، الآيات ١٠-١٢

ثبتت هذه الآيات وجود الحفظة وكرامتهم وكتابتهم وعلمهم بما نعمل. ولا تسمى الأدوات التي يكتبون بها ولا المادة التي تحفظ فيها الصحائف. لذلك لا نحول المعرفة إلى وصف تقني لسجل غيبي لم يخبرنا النص بكيفيته. والإيمان بالكتابة ليس دعوة إلى اليأس من الخطأ؛ فالقرآن يفتح باب التوبة ويجعل الإنسان قادراً على الرجوع. ولا يجوز أن ننقل في توقيت كتابة السيئة أو محوها رقماً محدداً من غير تخريج الرواية التي ورد فيها. فالتفصيل الزمني حكم على خبر بعينه، وليس جزءاً من منطوق هذه الآيات.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ٤٩

سورة الكهف، الآية ٤٩

تظهر الصحيفة هنا في مشهد العدل. ما عمله الإنسان حاضر، والظلم منفي عن الله. وليس الغرض أن يشعر العبد بأنه مراقب مراقبة عبثية، بل أن يفهم أن خيره لا يضيع وأن أذاه للآخرين ليس حادثة تُمحي بنسيان الناس.

ويترتب على ذلك معنى عملي: الصدق في الخلوة، وحفظ حقوق من لا يستطيع الدفاع عن نفسه، ورد المظالم. فالإيمان بالكاتب لا ينفع إذا تحول إلى خوف من صورة الملك مع الاستمرار في إفساد حياة البشر.

وتجمع أوصاف الكرام الكاتبين بين شرف القائمين بالعمل ودقة العمل نفسه. فالكرامة لا تعني التغاضي عن الظلم، والكتابة لا تعني تعقب الإنسان طلباً لإدائته، بل حفظ ما يصدر عنه في نظام العدل. وفي يوم عرض الكتاب لا تضيع صغيرة ولا كبيرة، كما جاء في آية الكهف.

ومن آثار هذا المعنى أن الخلوة لا تلغي المسؤولية، وأن الفعل الذي لا يشهده الناس لا يصبح بلا أثر. لكن الكتابة لا تنفصل عن رحمة الله وتوبته؛ فلا يستقيم أن نقرأ آيات الإحصاء ثم نغفل دعوة القرآن إلى الإنابة والإصلاح. الذي يحفظ العمل هو الذي يعلم صدق التوبة.

ولا يتضمن وصف الكاتبين أنهم يحتاجون إلى أدوات تشبه أوراقنا وأقلامنا. فالكتابة معنى أثبتته النص، أما كيفيتها فليست موضحة في هذه الآيات. لذلك يقف القارئ عند الثمرة التي تعنيه: أن العدل لا يضع بسبب ضعف ذاكرة البشر أو قدرة الظالم على إخفاء الجريمة، وأن الخير الصغير الذي يُنسى عند الناس محفوظ عند الله.

وتشمل الكتابة ما يدبره الإنسان وما يسره في نجواه:

﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُمْ إِذَا لَّهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ ٢١

سورة يونس - ٢١

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ٨٠

سورة الزخرف - ٨٠

لا ينحصر حفظ العمل في كلام يقال أمام الناس؛ فالسر والنجوى والمكر داخل علم الله، وتؤدي رسله ما أمروا به من الكتابة. ولا تعني وساطة الكاتبين حاجة الله إلى من يخبره، بل هي من نظام الشهادة والجزاء الذي أخبر به عباده. ويجعل هذا المعنى الأمانة في الخلوة امتداداً للأمانة في العلن.

من مراجع الآيات في الفصل: الانفطار ١٠-١٢؛ الكهف ٤٩.

الفصل ٣٨: رقيب وعتيد بين الوصف والاسم

كثيراً ما تذكر عبارتا «رقيب» و«عتيد» كأنهما اسمان لشخصيان للمكين. غير أن ضبط المعجم يستلزم أن نبدأ ببنية الآية وسياقها قبل نقل الاستعمال الشائع إلى مرتبة التسمية الصريحة.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ١٧ ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ١٨

سورة ق، الآيات ١٧-١٨

تذكر الآية متلقيين عن اليمين وعن الشمال، ثم تصف حضور الرقيب العتيد عند القول. والرقابة والاستعداد معنيان لغويان واضخان. ولا يكفي ورود الكلمتين بهذه الصيغة لإثبات أن إحداهما اسم فرد والآخرى اسم الفرد الثاني، أو لتحديد توزيع الاسمين بين الجهتين.

لذلك يسجل التعبير في معجم الأوصاف، مع الإشارة إلى شيوع استعماله في التسمية، ولا يُعدّان اسمين قرآنيين صريحين على درجة جبرئيل وميكال. وإذا ورد خبر يسميهما لزم تخريجه ودراسة دلالاته، دون الاستعاضة عنه بالآية.

وتتكمّل الرقابة هنا مع المسؤولية عن اللسان. فالقول قد يبني ثقة أو يهدمها، وقد يشهد حقاً أو يفترى. ولا يحتاج المؤمن إلى معرفة الاسم الشخصي للكاتب حتى يفهم أثر الصدق والغيبة والبهتان. والوقوف عند الوصف لا ينقص المعنى الذي أرادت الآية إيصاله، بل يمنع أن تزاممه معلومة غير محررة.

ويزيد النظر في تركيب الآية الأمر وضوحاً. «رقيب» يدل على المراقبة والحفظ، و«عتيد» يدل على الحضور والاستعداد. ووصف الواحد بأنه رقيب عتيد ممكن في العربية، فلا تكون الكلمتان بمجرد تجاوزهما قائمة باسمين مستقلين. كما أن الآية السابقة تتحدث عن متلقيين عن اليمين وعن الشمال، فتحتاج قراءة العلاقة بين الآيتين إلى السياق كله.

ولا يمنع ذلك أن تشيع الكلمتان في مخاطبات الناس كما لو كانتا اسمين. غير أن معجم الكتاب يفرق بين الشروع الاصطلاحي وبين ما تثبته صياغة الآية نفسها. وقد أدرجناهما في الأوصاف لتبقى المعلومة قابلة للاستعمال دون أن تزيد عدد الملائكة المسماة زيادة غير محققة.

وتظهر أهمية هذا الضبط حين تُترجم الأسماء أو تُكتب في تعليم الأطفال. فبدل أن يقال جزماً إن اسم الملك الأول رقيب واسم الثاني عتيد، يمكن أن يقال إن القرآن وصف الحضور الملائكي عند القول بأنه رقيب عتيد، وذكر المتلقيين. بهذا تحفظ سهولة التعليم ودقة العبارة في آن واحد.

من مراجع الآيات في الفصل: ق ١٧-١٨.

الفصل ٣٩: الملائكة والصلاة والقرآن والذكر

تتصل الملائكة بالعبادة في أكثر من مستوى: هم عباد مسبحون، وهم في نصوص أخرى يدعون للمؤمنين أو يحضرون مواطن الذكر. ويكفي هذا ليدرك القارئ أن العبادة ليست حركة معزولة عن عالم المعنى.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ٥٦

سورة الأحزاب، الآية ٥٦

تجمع الآية بين صلاة الله والملائكة على النبي وأمر المؤمنين بالصلاة والتسليم. ولا يلزم أن يكون معنى الصلاة وكيفيتها واحداً من كل فاعل، فاللفظ يقرأ بحسب من أسند إليه. ومقام الرسول هو محور هذا التكريم، دون أن ينتقل شيء من خصائص الألوهية إلى المخلوق.

وفي الكافي خبر عن الإمام الصادق عن أمير المؤمنين عليهما السلام يربط قراءة القرآن وذكر الله في البيت بكثرة البركة وحضور الملائكة. [١] نذكره بوصفه خبراً في مصدره، ولا نحوله إلى وعد مادي محدد يضمن أن لا يصيب أهل البيت مرض أو ضيق.

ومجالس العلم والذكر ليست مجرد أصوات؛ فالأمانة في العلم والرحمة بالحاضرين واحترام الحقيقة من ثمراتها. كما أن حضور الملائكة لا يحتاج إلى استعراض بشري يدعي رؤية خاصة. ما يثبت بخبر مقبول تؤمن به في حدوده، وما يدعيه الناس عن تجربة شخصية لا يصبح حجة على الآخرين.

أما أعداد الملائكة في الصلاة أو الحج أو التلاوة، وأوقات حضورهم التفصيلية، فنحتاج إلى أصولها الحديثية. ولا نضع رقماً لأن المقام مقام ترغيب؛ فالترغيب الصادق يستغني عن مبالغة لا دليل عليها.

ويصف القرآن الصحف التي يحملها السفارة:

﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ ١٣ ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ ١٤ ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ ١٥ ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ ١٦

سورة عبس، الآيات ١٣-١٦

تجتمع في هذا المقطع الكرامة والرفع والتطهير، ثم الكرامة والبر في وصف السفارة. ويؤكد هذا الحضور أن الوحي ليس نصاً ضائع النسبة يتناقله من شاء كيف شاء؛ بل تُقرأ منزلته في سياق التذكير والهداية والأمانة.

أما البيوت التي يقرأ فيها القرآن، فيذكر خبر الكافي زيادة خيرها وحضور الملائكة فيها وهجر الشياطين لها. [١] وليس المراد أن مجرد الصوت يعني أهل البيت من العمل بالقرآن. تظل التلاوة باباً إلى التدبر والصدق والرحمة وإقامة الحقوق، وإلا انفصل اللسان عن الغاية التي يكررها الكتاب.

والصلاة على النبي وآله تجمع المؤمن بعمل يذكر القرآن أن الله وملائكته يصلون فيه على النبي. لا يجعل ذلك صلاة البشر ماثلة من كل وجه لصلاة الله أو الملائكة؛ فلكل نسبة معناها المناسب. لكنه يضع فعل المؤمن ضمن معنى التعظيم والمحبة والطاعة الذي لا يقتصر على العالم المشهود.

ومن مواطن الشهود الملائكي صلاة الفجر، وفيها يقول القرآن:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ٧٨

سورة الإسراء - ٧٨

ويروي الكافي عن إسحاق بن عمار، عن الإمام الصادق عليه السلام، تفسير المشهود بشهود ملائكة الليل وملائكة النهار، وذكر إثبات صلاة أول الفجر مرتين في ذلك الخبر. [٢] فالآية أصل البيان، وتعين الشهود بهذا التفصيل من الرواية. ويظهر في اجتماع الفريقين معنى العناية بالعبادة عند انتقال الليل إلى النهار.

ومن صلة الملائكة بالمعرفة ما رواه الإمام الصادق عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا به». [٣] ويأتي المقطع ضمن حديث يربط طلب العلم بطريق الجنة واستغفار الخلق ووراثه الأنبياء. ليست قيمة العلم في جمع الألفاظ وحده؛ إنما يضعه السياق في طريق هداية يتعلم فيه الإنسان ويعلم. ونقل المجلسي للحديث طريقين، فميز بين الأول والثاني في الحكم، فلا يصح اختصار تقويمه إلى حكم واحد على جميع سنده.

ويذكر الصدوق عن الإمام الباقر عليه السلام ملائكة موكلين بالصائمين يستغفرون لهم في رمضان، ويبشرونهم عند الإفطار، ويختم الخبر بالتنبيه إلى ما يستقبلونه من أعمال. [٤] فيربط الرجاء بالمواسلة بعد الموسم، ولا يكون غفران الذنوب الموعود إذناً بالرجوع إلى الظلم. وفي الطريق المعروض واسطة غير مسماة بلفظ «عمن سمع»، فيروى الخبر مع بيان ذلك، ولا يوصف هنا بالصحيح المتصل.

[٢] الكافي، ج ٣، كتاب الصلاة، باب وقت الفجر، الحديث ٢، ص ٢٨٦-٢٨٧، خبر إسحاق بن عمار.

[٣] الكافي، ج ١، كتاب فضل العلم، باب ثواب العالم والمتعلم، الحديث ١، ص ٣٤؛ مرآة العقول، ج ١، ص ١١٣: وصف المجلسي الطريق الأول بالمجهول، والثاني بالحسن أو الموثق اللذين لا يقصران عن الصحيح.

[٤] الصدوق، الأمالي، المجلس الثالث عشر، الحديث ١، عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام؛ في الطريق المعروض «عمن سمع محمد بن مسلم».

[١] الكافي، ج ٢، كتاب فضل القرآن، باب البيوت التي يقرأ فيها القرآن، الحديث ٣، ص ٦١٠ في الترقيم المطبوع المتداول.

الفصل ٤٠: الملائكة والدعاء والتوبة

سبق أن قرأنا استغفار حملة العرش للمؤمنين، وهنا نقترّب من أثر هذا المعنى في حياة من يخطئ ثم يرجع. فالكتاب لا يقدم الملائكة كائنات مهمتها تتبع الزلاّت وحدها؛ ففي القرآن ذكر لاستغفارهم وصلاتهم أيضاً.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ٤٣

سورة الأحزاب، الآية ٤٣

تربط الآية هذا اللطف بالخروج من الظلمات إلى النور. ويستطيع القارئ أن يرى في ذلك دعوة إلى الأمل والعمل، لا ضماناً يعفيه من التوبة أو رد الحقوق. فالرحمة تفتح الطريق، لكنها لا تجعل ظلم الناس أمراً هيناً.

وترد روايات في دعاء الملائكة لمن يدعو لأخيه أو يعمل الخير. وكل تخصيص لعدد أو وقت أو ثواب بعينه يحتاج إلى تخريج. أما أصل الدعاء للمؤمنين والاستغفار لهم فله شواهد القرآنية الصريحة، فلا يلزم اختراع تفصيل لتقوية أثره في النفس.

ومن تمام التوبة أن لا يكتفي الإنسان بصورة سرية بينه وبين نفسه إذا تعلقت المعصية بحق غيره. فاستغفار الملائكة لا يعفينا من الاعتذار والإصلاح حيث يجبان. وحين نتحدث عن الرحمة ننتبه إلى المظلوم أيضاً، فلا يتحول الرجاء إلى ذريعة لتترك حقه.

ويختتم هذا المعنى القسم التعبدى بانتقال طبيعي إلى الرحمة بين الناس. فالقلب الذي يرجو دعاء الملائكة له ينبغي أن يكون قادراً على الدعاء لغيره وعلى مواساة من يحتاج إليه.

ومن الألقاب التي وردت في هذا المجال «الداعي». يذكر ابن طاووس في إقبال الأعمال، في فصل حديث الملك الداعي في ليالي رجب، خبراً نقله من كتب العبادات عن النبي صلى الله عليه وآله، وفيه ملك في السماء السابعة ينادي بالترغيب في الذكر والطاعة والاستغفار. [١] لا يسوق هذا الموضع سنداً متصلًا كاملاً؛ ولذلك نعرضه بلفظ الرواية، وثبت «الداعي» تسمية وصفية مرتبطة بوظيفته.

ولا يدل الخبر على أن الدعاء محصور في شهر دون غيره. إن تخصيص وقت بالترغيب لا يلغي عموم القرب والدعاء، كما لا يجعل رجاء المغفرة إذناً بتأخير رد المظالم. فالتوبة التي ينتظر صاحبها أثرها في آخرته يظهر صدقها أيضاً في إصلاح ما يستطيع إصلاحه في دنياه.

ومن أوسع أبواب الرحمة دعاء الإنسان لغيره. وقد افتتحنا وصف حملة العرش باستغفارهم للذين آمنوا. يعود هذا المعنى هنا لجعل اهتمام المؤمن بالناس جزءاً من صور الخير التي تعلمها: يسأل لهم ما يرجوه لنفسه، ويحب لهم النجاة، ولا يجعل قرب المتوهم من الله سبباً لاحتقارهم.

ويعمم موضع آخر معنى الاستغفار لمن في الأرض:

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ^ج وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ^ك أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

سورة الشورى، الآية ٥

وتلتقي هذه الآية مع دعاء حملة العرش في وصف الرحمة والاستغفار. غير أن القرآن يذكر أيضاً اللعنة في سياق الكفر والإصرار، فلا تُقرأ الرحمة مع إسقاط العدل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ

سورة البقرة، الآية ١٦١

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ

٨٧ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ

٨٨ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

سورة آل عمران، الآيات ٨٧-٨٩

ومن دقة السياق الثاني أنه يفتح باب التوبة والإصلاح بعد ذكر الجزاء. فلا يصح اقتطاع اللعنة لإغلاق ما فتحته الآيات، ولا جعل الرجاء ذريعة لإنكار مسؤولية من يصر على الظلم والكفر.

من مراجع الآيات في الفصل: الأحزاب ٤٣؛ الشورى ٥؛ البقرة ١٦١؛ آل عمران ٨٧-٨٩.

[١] ابن طاووس، إقبال الأعمال، ج ٣، ص ١٧٤، الفصل الخامس من أعمال شهر رجب: حديث الملك الداعي إلى الله في كل ليلة من رجب؛ صدر النقل فيه «نقلناه من كتب العبادات».

الفصل ٤١: الملائكة وأعمال الرحمة

تلتقي في أخبار عيادة المريض الرعاية البشرية بالدعاء الملائكي. يذهب الإنسان إلى من أثقله المرض، فيواسيه ويخفف وحدته، وتصف الروايات هذا الفعل بما يرفعه عن كونه مجاملة اجتماعية عابرة.

يروى الكليني في باب ثواب عيادة المريض عن فضيل بن يسار، عن الإمام الصادق عليه السلام، خبر تشييع الملائكة للعائد واستغفارهم له، ويتكرر أصل المعنى في أخبار أخرى من الباب. [١] وتذكر بعض الروايات سبعين ألف ملك، ويُحفظ العدد بوصفه جزءاً من خبر معين لا حقيقة تستمد قوتها من مجرد تكرارها في الوعظ.

وتفاوت طرق الباب؛ ففيها روايات يمر سندها بمن نوقش في حاله، وفيها صيغ مختلفة. ومن الأمانة ألا يوضع حكم واحد على كل الروايات دون دراسة. ويمكن عرض المعنى العام للرحمة مع المحافظة على هذا الفرق.

أما العيادة نفسها فتراعي حاجة المريض وخصوصيته وراحته. لا يصبح العمل خيراً بمجرد اسم العيادة إذا أثقل به على المريض أو كُشفت أسرارته. وهذا استنتاج أخلاقي من مقاصد المواساة، لا عبارة منسوبة إلى الرواية المذكورة.

وتنقل أخبار عيادة المريض بالملائكة من الصور البعيدة إلى فعل إنساني يستطيع القارئ القيام به. فالخبر لا يطلب منه أن يبحث عن هيئة ملك، بل أن يزور أخاه ويواسيه. ويُذكر الدعاء الملائكي في سياق هذه الرحمة ليعظم شأنها في النفس.

وهنا ينبغي أن يكون حضور العائد نفعاً للمريض، لا عبئاً عليه. المقصود من العيادة المؤانسة والعون، فلا تناسبها إطالة تؤذيه أو كلام يخيفه أو إظهار فضول عن خصوصياته. هذه آداب يفهم معناها من غاية الرحمة، ولا يُنسب كل تفصيل منها إلى لفظ حديث بعينه.

وتشمل أعمال الخير الصدقة والإصلاح وإطعام المحتاج، غير أن هذا الفصل لا يضع لكل عمل عدداً من الملائكة بغير نص. الذي يجمع الأبواب هو أن العمل الصغير في ظاهر الناس قد تكون له منزلة كبيرة عند الله. ومن قراءة هذا الباب يخرج الإنسان بسؤال عملي: من يحتاج اليوم إلى زيارة أو مساعدة أستطيع أن أقدمها؟

ولا تقتصر هذه الصلة على حال المرض. ففي باب زيارة الإخوان يروي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أن من زار أخاه لله وطلب ما عنده وكل به سبعون ألف ملك يبشرونه بالجنة. [٢] يضع الخبر النية في صلب الفعل: زيارة لله، لا لمصلحة مستترة أو رياء. ونقل عن المجلسي وصف هذا الطريق بالموثق كالصحيح؛ وهو حكم على الحديث المعين، لا على كل ما يجمع تحت عنوان الزيارة.

ويضيء هذا المعنى ما تقدّم في العيادة: الحضور الذي يجبر الوحشة ويحفظ الأخوة عمل ذو قيمة دينية. وقد تقع الزيارة في بيت متواضع ومن غير جمهور يراها، ثم تكون في ميزان القصد والرحمة أعظم مما يبدو. وهكذا ترد أخبار الملائكة الإنسان إلى فعل قريب يقدر عليه، بدل أن تجعله أسير البحث عن المشاهد الخارقة.

[٢] الكافي، ج ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب زيارة الإخوان، الحديث ١؛ مرآة العقول، ج ٩، ص ٥٢، والحكم المنقول فيه «موثق كالصحيح».

[١] الكافي، ج ٣، كتاب الجنائز، باب ثواب عيادة المريض، الحديث ٢، وانظر الحديث ٨. وردت الأرقام والصيغ ضمن روايات الباب ولم يصدر هنا تصحيح شامل لها.

الفصل ٤٢: الملائكة والبيوت وحياة الإنسان الخفية

تدور حول البيوت أخبار في حضور الملائكة ومفارقتهم، ويُستعمل بعضها أحياناً لإثارة خوف الناس من تفاصيل يومية. القراءة الآمنة تبدأ من نص الرواية ودرجة ثبوتها ومعنى ألفاظها، لا من الأثر النفسي الذي يصنعه تداولها.

تقدم خبر البيت الذي يقرأ فيه القرآن في الفصل التاسع والثلاثين، وهو يربط المكان بالذكر والبركة. [١] ولا يلزم من خبر عن مفارقة جماعة من الملائكة أن تتوقف كتابة الأعمال أو يمتنع ملك الموت عن دخول مكان. تعميم لفظ الملائكة على جميع أصنافهم في كل خبر يحتاج إلى قرينة، وإلا وقع التعارض الذي أنشأه سوء الفهم نفسه. كما لا يصح تحويل الرؤى والخواطر إلى رسائل ملائكية ملزمة. قد يرى الإنسان رؤيا ذات أثر في نفسه، لكن صدق انفعاله لا يثبت هوية من رآه ولا يجعل قوله تشريعاً. ولا يجوز أن تُبنى تهمة بحق إنسان أو دعوى قيادة دينية على حلم لا حجة عامة فيه.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ٣٦

سورة الإسراء، الآية ٣٦

تضع الآية مسؤولية المعرفة في موضع واضح. ومن تطبيقها ألا أزعج أن ضوءاً في صورة أو صوتاً مجهول المصدر ملك، وألا أجعل الخوف من الغيب وسيلة للتحكم في الناس. فالإيمان الذي تعلمناه في هذه الفصول يثر صدقاً ورحمة، ويحفظ للإنسان حقه في الدليل.

ويروي الكافي في باب تزويق البيوت أخباراً تتصل بدخول الملائكة، منها خبر يذكر على لسان جبرئيل بيتاً فيه صورة إنسان أو كلب، ومنها خبر يذكر تمثالاً لا يوطأ. [٢] يتيح هذا التعيين قراءة الألفاظ في أبوابها، ويمنع الاكتفاء بعباراة متداولة لا يُعرف مصدرها.

واختلاف الصيغ والقيود مهم؛ فلا يجوز أن يُستنبط من جمعها السريع حكم واحد على كل صورة وكل استعمال وكل ظرف. كما أن الحديث عن امتناع دخول في هذا السياق لا يسوّغ الزعم بأن ملائكة كتابة الأعمال أو ملك الموت يعجزون عن دخول بيت ما؛ فوظائفهم وردت في نصوصها العامة. أما التفصيل الفقهي فيرجع إلى جمع الأدلة وقواعد الاستنباط.

ولا ينبغي أن تتحول هذه الأخبار إلى وسيلة لتعير الناس أو إهمال النظافة والرحمة بحق من يعيش معهم. فالبيت الذي يقصد أهله الطاعة مكان تُحفظ فيه الحقوق أيضاً: لا أذى ولا ظلم ولا خيانة للأمانة. ويأتي ذكر القرآن فيه ضمن هذه الحياة، لا ستاراً يغطي ما يناقض هديده.

[١] الكافي، كتاب فضل القرآن، باب البيوت التي يقرأ فيها القرآن، الحديث ٣.

[٢] الكافي، ج ٦، كتاب الزي والتجمل والمروءة، باب تزويق البيوت، الحديثان ١٢ و ١٣، ص ٥٢٨ في الترقيم المراجع. حكم المجلسي على الحديث ١٢ بالضعف في مرآة العقول، ج ٢٢، ص ٤٤٠. وهذا حكم على هذا الطريق بعينه، ولا يقوم مقام جمع نصوص الباب في البحث الفقهي.

الباب السادس

عند انقضاء العمر والملائكة والموت والبرزخ

الفصل ٤٣: ملك الموت وأعوانه

ينتقل الإنسان إلى الموت وهو لا يملك أن يحدد من تلقاء نفسه وقت انتهاء عمره. ويعرف القرآن الملك الموكل بالتوفي بعنوان وظيفته، مع إبقاء الرجوع إلى الله نهاية المشهد.

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ١١

سورة السجدة، الآية ١١

ليس «عزرائيل» اسماً وارداً في هذه الآية، ولا في القرآن. لكنه يرد في المادة الدعائية التي أوردها المجلسي في أعمال النصف من رجب، مقروناً بملك الموت والموكل بقبض الأرواح. [٢] ولذلك لا ننفي ورود التسمية في التراث الإمامي، ونفصل بين هذا الموضع الروائي وبين العنوان القرآني، مع بقاء دراسة طريق الدعاء مسألة أخرى.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾

٦١

سورة الأنعام، الآية ٦١

تذكر الآية رسلاً يتوفون الإنسان، بينما تذكر السجدة ملك الموت، وينسب القرآن التوفي إلى الله أيضاً. لا يلزم من اختلاف الإسناد تناقض؛ فالفعل قد ينسب إلى الأمر وإلى الموكل وإلى المنفذين بحسب المقام. وفي الدعاء الثالث من الصحيفة ذكر لملك الموت وأعوانه، وهو نص مفيد في جمع هذه الوظائف. [١]

ويعيد هذا الفصل المعنى إلى أصله: الموت انتقال بأمر الله، والمَلَك عبد مكلف. والخوف الذي يثر إصلاحاً محمود، أما تهويل الأوصاف بلا دليل فلا يخدم معرفة ولا رحمة.

وفيد جمع آيات التوفي في إزالة تعارض ظاهري. فقد تُنسب الوفاة إلى الله، وتُنسب إلى ملك الموت، وتُنسب إلى رسل من الملائكة. ولا يلزم أن تكون هذه النسب بدائل متناقضة؛ فالفعل يقع بأمر الله، وملك الموت موكل، وله أعوان في الأخبار.

وينقل المجلسي عن من لا يحضره الفقيه بياناً منسوباً إلى الإمام الصادق عليه السلام يشبه عمل الأعوان بأعوان صاحب الشرطة: يبعثهم في حوائجهم، فينسب الفعل إليهم وإليه، ثم إلى من أمر. [٣] الغرض من التشبيه بيان علاقة الأمر والتنفيذ، لا تشبيه حقيقة العالم الغيبي بكل تفصيل في نظم البشر.

وبذلك تتحدد منزلة عزرائيل في الكتاب. اسم ملك الموت القرآني عنوان وظيفة، أما «عزرائيل» فتسمية واردة في النص الدعائي الذي عينا موضعه. ذكر أحدهما لا يوجب حذف الآخر، لكن توحيد مرتبة مصدرهما خطأ. ومن حفظ هذا الفرق استطاع قراءة أخبار الاحتضار من غير أن يجعل أكثر الأسماء شيوعاً نصاً قرآنياً.

ويصرح القرآن بنسبة التوفي إلى الله في موضع يجمع الموت والنوم:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٤٢

سورة الزمر - ٤٢

تقرأ هذه النسبة مع تكليف ملك الموت وإرسال الحفظة؛ فلا يكون تنفيذ الملك منافساً للفعل الإلهي. وليس في تشبيه النوم بالوفاة من جهة إمساك النفس وإرسالها ما يجيز تفصيل رحلة للنائم بأسماء ملائكة لم يسمها النص.

- [١] الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، فقرة ملك الموت وأعوانه.
- [٢] المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٨، الباب ١٠٧، عمل خصوص ليلة النصف من رجب ويومها، ص ٤٠٠، في الدعاء المتضمن الصلاة على الملائكة. يثبت بهذا موضع الاسم في النص المراجع، لا تصحيح كل طرق العمل والدعاء.
- [٣] المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٦، باب ٢٣، ص ٢٣٣، في شرح فقرة ملك الموت وأعوانه من الدعاء الثالث، نقلاً عن الصدوق في من لا يحضره الفقيه.

الفصل ٤٤: الملائكة عند الاحتضار

يعرض القرآن وجوهاً مختلفة للتوقي، فيذكر السلام والبشارة في موضع، ويذكر الشدة في موضع آخر. والاختلاف متعلق بحال الإنسان الذي يعلمه الله، لا بما نستطيع استنتاجه من منظر الجسد وحده.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٣٢

سورة النحل، الآية ٣٢

يأتي خطاب السلام هنا للمتوفين طيبين، ويرتبط الجزاء بالعمل. ولا تسرد الآية خطوات طبية لوفاة الجسد، ولا تسمح لنا بإثبات رؤية بعينها لكل من حضرنا موته. إنها تخبر عن حقيقة لا تُدرك كلها بالنظر الخارجي.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ٥٠ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ٥١

سورة الأنفال، الآيات ٥٠-٥١

في المقابل يصف هذا المشهد شدة ترتبط بالكفر وما قدمت الأيدي، ويختم بنفي الظلم عن الله. ومع ذلك لا نملك تحويل حركة مؤلمة عند الاحتضار إلى دليل على عقوبة غيبية، أو هدوء ظاهر إلى شهادة نهائية بالمصير. فالأحوال الجسدية لها أسبابها، والسرائر إلى الله.

ومن الرحمة أن يكون الحديث عن الموت معيناً على الاستعداد والعمل، لا مصدر اتهام لأهل المصائب. ولا ينشغل من يرافق المريض بتأويل كل كلمة أو حركة على أنها خبر من الآخرة، بل يقوم بواجبه من الرعاية والستر والدعاء.

تضعنا هذه الآيات عند الحد الفاصل بين ما يشاهد وما يخبر به الوحي. فلا ننفي البشارة لأنها لا تلتقط بكاميرا، ولا ندعي تصويرها إذا التقطت عدسة أثراً لا نعرف مصدره. الصدق هنا أمانة مع الحي والميت معاً.

ويقدم القرآن مشهداً آخر تتصل فيه الطمأنينة باستقامة المؤمن:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ٣٠ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ ٣١ ﴿نَزَّلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ ٣٢

سورة فصلت، الآيات ٣٠-٣٢

يقترن نفي الخوف والحزن بالبشارة بالجنة وبالولاية في الدنيا والآخرة. واختلف المفسرون في امتداد وقت هذا التنزل، فلا نجعل الآيات تقريراً طيباً عن لحظة واحدة من الاحتضار؛ إنما نستفيد منها بشارة الملائكة للمستقيمين ووعده الرحمة الذي تحمله.

ولا يمكن للإنسان أن يقيس هذا الغيب على شدة مرض المحتضر أو هدوء جسده. فالألم قد يصيب الصالح وغيره، وظاهر التنفس والحركة لا يكشف ما يراه الميت أو ما يخاطب به. ومن احترام النص أن لا ندعي لأنفسنا قدرة على إصدار أحكام أخروية من مشهد جسدي عابر.

ويكون واجب الأحياء قريباً وواضحاً: الرفق بالمحتضر، وحفظ كرامته، ومواساة أهله، وعدم ملء المكان بأخبار مخيفة غير ثابتة. الحكاية الملائكية في هذا الباب تفتح باب الرجاء والمسؤولية، ولا تعطي الناس سلطة على سرائر من يودعونهم.

وتأتي مساءلة الملائكة لمن ظلموا أنفسهم في سياق الاستضعاف والهجرة، ويتبعها استثناء من عجزوا عن الحيلة والطريق:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ^ط قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ^ج قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ٩٧ ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ٩٨ ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ ٩٩

سورة النساء، الآيات ٩٧-٩٩

فلا يُحكم على كل عاجز ظاهراً بحكم واحد، ولا تُسقط أعذار من نصت الآيات على عذرهم. وتبرز عند الوفاة أيضاً مواجهة إنكار السيئة بعلم الله:

﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ^ط فَأَلْقَوْا^ط السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ^ج بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٢٨ ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلِيسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ٢٩

سورة النحل، الآيات ٢٨-٢٩

ويصف القرآن موضعاً آخر لافتضاح الافتراء عند غمرات الموت:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ٩٣

سورة الأنعام، الآية ٩٣

كما يرد ذكر ضرب الوجوه والأدبار في سورة محمد:

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ ٢٧ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْنَفَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ٢٨

سورة محمد، الآيات ٢٧-٢٨

هذه مشاهد قرآنية للعاقبة، ولا تمنحنا حق تطبيقها على ميت بعينه من ملامحه أو مرضه. الذي يخبر بالسرائر ويحكم عليها هو الله، أما الأحياء فلا يملكون إلا ما قامت عليه حجة في عالم التكليف.

ومن خطاب الرسل عند التوفي سؤلهم عما كان يدعى من دون الله:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ^ج أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ نَصِيحُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ^ط حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ ٣٧

سورة الأعراف - ٣٧

ينكشف عجز تلك المدعوات عند انتهاء زمن العمل. ويعرض القرآن عجز الحاضرين عن رد النفس حين تبلغ الحلقوم:

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾ ٨٣ ﴿وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ﴾ ٨٤ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ٨٥ ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ ٨٦ ﴿تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٨٧

لا يسمي هذا المقطع ملكاً، وتُبحث دلالة القرب فيه في التفسير؛ فلا نجعله وحده وصفاً تفصيلياً لهيئة ملك الموت. أما معناه الظاهر فيكشف حدود القدرة البشرية عند لحظة لا يملك فيها المحيطون بالمحتضر إعادة حياته لمجرد رغبتهم في بقاءه.

من مراجع الآيات في الفصل: النحل ٣٢؛ الأنفال ٥٠-٥١؛ فصلت ٣٠-٣٢؛ النساء ٩٧-٩٩؛ النحل ٢٨-٢٩؛ الأنعام ٩٣؛ محمد ٢٧-٢٨.

الفصل ٤٥: منكر ونكير وسؤال القبر

ينتقل الحديث الروائي من لحظة التوفي إلى المسألة، وترد فيه تسمية منكر ونكير. وقد ورد الاسمان في الدعاء الثالث من الصحيفة، كما وردا في أخبار الكافي في باب المسألة في القبر. [١]

ومن أخبار الباب رواية بشير الدهان عن الإمام الصادق عليه السلام التي تذكر مجيء الملكين وسؤالهما عن الرب والدين والرسول. [٢] وهذا يحدد أصل موضع التسمية والوظيفة في المصدر، ولا يغني عن دراسة سند الرواية وتفاصيل أوصافها، التي لا تُجمع آلياً مع تفاصيل روايات أخرى في مشهد واحد.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ^ج وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾

٢٧

سورة إبراهيم، الآية ٢٧

يمكن أن تُقرأ الآية مع أحاديث التثبيت عند المسألة، لكن لفظها لا يسمي الملكين. فلا نعرض الاسمين على أنهما في القرآن، ولا ننفي أصل وظيفتهما الروائية لمجرد أن القرآن لم يسمهما.

كما لا يصح أن نساوي جميع الناس في التفاصيل التي تتناولها الأخبار؛ فباب الكافي نفسه يتعرض لمن يسأل ومن لا يسأل. وتحتاج أحوال الأطفال والمستضعفين وغيرهم إلى بحثها الخاص، ولا يُصدر هذا الفصل أحكاماً فردية عليهم.

والاستعداد للسؤال لا يكون بحفظ أجوبة منفصلة عن الحياة. معرفة الحق والصدق معه ورد المظالم هي ما يعطي للحديث أثره الأخلاقي. أما التفاصيل المخيفة فلا توظف لإرهاب طفل أو مبتلى، ولا تنسب إلى المعصوم دون تحقق. الغاية أن يستيقظ القلب للعمل، لا أن يُحاصر بخيال لا يعرف حدود النص.

وترد إلى جانب منكر ونكير تسميتا «مبشّر» و«بشير». ينقل المجلسي عن الشيخ المفيد في المقالات ذكرهما في سياق سؤال من يُنعم، ويذكر في المقابل «ناكراً ونكيراً» في حال العذاب. [٣] ويبحث المجلسي في شرحه للصحيفة هل هي تسميات للملكين بحسب حال الميت أم لنوعين مختلفين، ويرجح من ظاهر أكثر الأخبار الاتحاد مع ذكر الاحتمال الآخر. [٤]

ومن هنا لا نعدّ منكرًا وناكراً ومبشراً وبشيراً أسماء لأفراد مستقلين بعدد الألفاظ من غير تحفظ. نسجل الصيغ ونبين صلتها بالسؤال والبشارة والإنكار. والخصر العددي للملائكة في هذا الموضوع يحتاج إلى ما هو أكثر من قائمة أسماء مستخرجة من نصوص مختلفة.

ولا يكون سؤال القبر امتحاناً لفظياً تنفع فيه إجابة محفوظة مع الإصرار على نقيضها في الحياة. إن أخبار السؤال ترد في سياق العقيدة والعمل والثبات، ولهذا تتصل الآية التي تستشهد بها الأخبار بتثبيت المؤمنين. ويظل ما خفي من الكيفية على قدر الخبر الذي يصفه، من غير تركيب مشهد واحد من جميع الأوصاف المتباينة.

[١] الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، فقرة منكر ونكير.

[٢] الكافي، ج ٣، كتاب الجنائز، باب المسألة في القبر ومن يسأل ومن لا يسأل، الحديث ٧، ص ٢٤٠ في الترقيم المطبوع المتداول؛ ونخبر آخر الحديث ١٢، ص ٢٤٣.

[٣] المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٦، باب ٢٣، ص ٢١١-٢١٢، نقلاً عن الشيخ المفيد، أوائل المقالات، القول في نزول الملكين على أصحاب القبور.

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٣٤، شرح فقرة منكر ونكير من الدعاء الثالث؛ المناقشة من كلام المجلسي، وليست جزءاً من متن الدعاء.

الفصل ٤٦: رومان وتسميات ملائكة القبر

في الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية يرد اسم رومان مقروناً بوصف فتان القبور. [١] وهذا موضع واضح لتسجيل الاسم في معجم الكتاب، لكنه لا يتضمن سيرة مطولة أو ترتيباً تفصيلياً لزيارته بالنسبة إلى بقية الملائكة.

وكلمة الفتنة في هذا السياق ترتبط بالاختبار والامتحان، فلا يفهم الوصف على أنه دعوة إلى إضلال الإنسان. غير أن تحديد الأسئلة أو الأدوات أو الأفعال التي تنسب إلى رومان لا يؤخذ من العبارة القصيرة وحدها. وكل رواية توسع القصة تحتاج إلى مصدرها وحكمها.

ولا نعد كل لقب في أخبار القبور ملكاً مستقلاً. فقد يشير الوصف إلى العمل، وقد تختلف تسمية الملك بحسب الحال في بعض الأخبار، وقد يكون في النقل تصحيف. لا يمكن حسم ذلك بمجرد تشابه اللفظ أو اختلافه، بل بمقارنة النصوص وطرقها.

ومن هنا يأتي ضبط «منكر» و«نكير» و«رومان» في مداخل مستقلة لثبوت مواضع أسمائهم في المصادر المراجعة، مع إحالة مشتركة إلى باب القبر. أما الأسماء الأخرى المتداولة فلا نثبت لها منزلة مساوية قبل العثور على مستند واضح. وما لم يبلغنا فيه تفصيل لا نختلقه لتعويض قصر الفصل؛ فقد تكون المعرفة الأمانة أقصر من القصة الشائعة وأدق منها.

وقد أفاد المجلسي عند شرح لفظ رومان أنه لم يجد ذكره في الأخبار التي عدّها معتبرة عنده سوى هذا الدعاء، ثم ذكر قصة من غير هذا الطريق. [٢] فهذه شهادة محددة على مقدار ما انتهى إليه في هذا الموضع، لا نفي مطلق لكل نص يمكن أن يعثر عليه باحث بعده.

ويورد بعد ذلك عن كتاب الفضائل لشاذان بن جبرئيل خبراً في حديث سلمان مع ميت، وفيه ملك يسمى نفسه «منبهاً»، ويأمر الميت بكتابة أعماله. [٣] هذا موضع آخر يجب إضافته إلى المعجم؛ مع التنبيه إلى أن الصورة القصصية المفصلة ليست مستفادة من عبارة الصحيفة عن رومان، وأن طريقها مستقل عنها.

هل منبه هو رومان؟ تشابه وظيفة التنبيه وكتابة العمل لا يثبت الهوية. وهل هما فردان حتماً؟ مجرد اختلاف اللفظ لا يحسم ذلك أيضاً، فقد يكون أحدهما لقباً. لذلك يثبت الكتاب مدخلين مع بيان الاحتمال، ولا يصنع حسماً لم يصنعه الدليل. وفي هذا المثال تظهر قيمة التوثيق أكثر من قيمة العدد: قد تتضاعف القوائم بسبب اسمين لوظيفة واحدة، وقد تضعيع تسمية نادرة إذا أهمل مصدرها.

[١] الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، عبارة رومان فتان القبور. لا يتضمن الاستشهاد تصحيحاً مستقلاً لكل ما اشتهر من قصته.

[٢] بحار الأنوار، ج ٥٦، باب ٢٣، ص ٢٣٤، شرح عبارة «ورومان فتان القبور».

[٣] المصدر نفسه، ص ٢٣٥، نقلاً عن كتاب الفضائل لشاذان بن جبرئيل، خبر الأصبع بن نباتة عن سلمان وحديث الميت.

الفصل ٤٧: الملائكة في عالم البرزخ

لا ينتهي الحديث الديني عن الإنسان بالتحلل جسده، ويذكر القرآن برزخاً إلى يوم البعث. لكن بيان أصل المرحلة لا يعني أن جميع تفاصيلها متاحة لنا.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ٩٩ ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

سورة المؤمنون، الآيات ٩٩-١٠٠

يظهر في المشهد ندم على العمل الذي فات، لا طلب معرفة أسماء جديدة. ولهذا ينبغي أن يبقى أثر الآية عملياً: اغتنام الحياة في الإصلاح قبل أن يصبح الرجوع طلباً لا يتحقق. وليس البرزخ مجرد استمرار للحياة الأرضية بالقوانين الحسية التي نعرفها.

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ٤٦

سورة غافر، الآية ٤٦

تميز هذه الآية في آل فرعون بين العرض على النار وبين إدخالهم أشد العذاب يوم تقوم الساعة. ومن هنا يستدل على حال سابقة على القيامة الكبرى. لكنها لا تعطي بذاتها اسم ملك يتولى العرض، ولا تسمح بتحديد مصير كل ميت بقياسه على هذا المثال.

وترد الروايات في ملائكة القبر والنعم والعذاب لتفصيل جوانب من هذا الباب. وقد أخذنا في الفصلين السابقين أمثلة محددة، ولا نعرض بقية أخبار زيارة الأرواح واتصالها بالأحياء حقائق محسومة قبل فحصها. كما لا تثبت تجارب يرويها الناس عن الموت الوشيك تفاصيل البرزخ تلقائياً؛ فكل دعوى لها مجالها ودليلها.

وتفرد آية آل فرعون بين العرض على النار وبين يوم تقوم الساعة. ومن هذه التفرقة يفهم امتداد الجزاء قبل المشهد العام للقيامة، من غير أن يصبح الزمن البرزخي صورة من ساعات الحياة الأرضية التي نعرفها.

كما أن لفظ القبر في الروايات لا ينبغي أن يحصر أحوال البرزخ في صورة الحفرة المرئية وحدها. فالإنسان الذي لم يُدفن على الوجه المعتاد لا يخرج بذلك من علم الله أو قدرته. وتفاصيل صلته ببدنه وأحوال إدراكه مسائل لا تحلها مشاهدة التراب، لأن موضوعها أوسع من موضع الدفن.

وتظهر الملائكة في أخبار هذه المرحلة عند التوفي والسؤال والبشارة أو العذاب. هذه الأعمال متصلة بما كان الإنسان عليه، لا بقدرة الأحياء على تصوير الغيب له. ولذلك يكون ذكر البرزخ تذكيراً بقيمة العمل الآن؛ فما يملكه القارئ هو التوبة والإصلاح ورد الحقوق، أما ما سيحدثه بعد الموت فمردّه إلى حكم الله وعدله ورحمته.

من مراجع الآيات في الفصل: المؤمنون ٩٩-١٠٠؛ غافر ٤٦.

الفصل ٤٨: نهاية العالم ومصير الملائكة

ينقلنا القرآن من موت الأفراد إلى مشهد الصعق الذي يشمل السماوات والأرض، مع استثناء يرد في الآية من غير تسمية من شمله.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ٦٨

سورة الزمر، الآية ٦٨

ينبغي أن يبقى الاستثناء كما جاء، فلا نضع فيه أسماء الملائكة المقربين أو حملة العرش من غير دليل إضافي. كما أن ترتيب موت جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت في بعض الحكايات ليس مستفاداً من ترتيب أسماء لم تذكرها الآية أصلاً.

إن الملائكة مخلوقون، فلا يثبت لهم البقاء الذاتي الذي يختص بالله. لكن تحديد ما يجري لكل جماعة عند نهاية العالم وكيفية موتها أو صعقها يحتاج إلى الأخبار الخاصة. لا نكفي عن التحقيق بتعبير عام، ولا نحول اختلاف الروايات إلى تسلسل يقيني نختاره بالذوق.

ويتصل هذا الباب بتفسير النفخ في الصور وبمعنى الصعق والبعث. وقد يُستعمل اللفظ في سياقات مختلفة، ولذلك لا نحتزل جميع استعمالاته في تعريف واحد دون نظر. وتبقى الآية محل الاستشهاد هنا صريحة في الانتقال من نفخة إلى أخرى، وفي قيام الخلق بعد ذلك.

ويحمل المشهد معنى يواجه غرور الإنسان بالدوام. فكل ما اعتاده من نظام الحياة ليس مستقلاً عن خالقه، والموت لا يعجزه عن الإعادة. وهذه النهاية تفتح الباب الأخير من الحكاية، حيث ينقلب الغيب الذي نُخبر عنه إلى مشاهد الحساب والجزاء.

ولا تصف آية الصعق الله سبحانه بوصفه داخل الفناء الذي يصيب الخلق. فالخالق باق، وما يجري في السماوات والأرض يجري بأمره. ويقرر القرآن هذا المعنى ببيان موجز:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ٢٦ ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ٢٧

سورة الرحمن، الآيات ٢٦-٢٧

وهذا يضع كل حديث عن الملائكة في موضعه؛ فدوام عملهم وعظم خلقتهم لا يمنحهم وجوداً مستقلاً عن الله. أما تعيين من استثنى من الصعق في آية الزمر، وترتيب موت الملائكة بعضهم بعد بعض، فهما تفصيلان وراء أصل المعنى، وقد وردت فيهما أخبار لا تتساوى طرقها وألفاظها.

ولا نجعل زمن نفخة الفزع والصعق والقيام في جدول حتمي لمجرد وجود هذه العناوين في التفاسير. فالكاتب يثبت ما ورد في النص المستشهد به، ويجعل تسمية النافخ من مصدرها الروائي. وبذلك تنتهي مرحلة الدنيا في الحكاية دون أن نمنح أنفسنا مشاهدة دقيقة لم يصفها الدليل.

وتنبه آيات الانتظار إلى أن الإصرار قد يستمر حتى يأتي وقت لا تكون فيه الاستجابة كالاستجابة الاختيارية في زمنها:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ١٥٨

سورة الأنعام، الآية ١٥٨

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ٣٣

سورة النحل، الآية ٣٣

والحديث هنا عن عاقبة انتظار الآيات مع التكذيب، لا عن دعوة إلى تأخير الإيمان حتى يرى الإنسان ملكاً. لقد كان المطلوب الاستجابة للحجة في وقت العمل، لا اشتراط أن تنكشف النهاية أولاً.

من مراجع الآيات في الفصل: الزمر ٦٨؛ الرحمن ٢٦-٢٧؛ الأنعام ١٥٨؛ النحل ٣٣.

الباب السابع

الملائكة في مشاهد البعث والحساب والجزاء

الفصل ٤٩: إسرافيل والنفخ في الصور

بعد مشهد الصعق يذكر القرآن النفخ الذي يعقبه قيام الخلق. وليس الانتقال إلى القيامة عودة عادية إلى يوم من أيام الدنيا، بل انكشاف لمرحلة تنتهي فيها مهلة العمل ويبدأ ظهور ما قدمه الإنسان.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ ٥١ ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ٥٢ ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ ٥٣ ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٥٤

سورة يس، الآيات ٥١-٥٤

تتابع الآيات الخروج من الأجداث، والسؤال المذهول، والحضور الجامع، ثم تقرر قاعدة الجزاء: لا ظلم ولا تحميل للإنسان ما لم يعمل. ومن الخطأ أن تضع هذه القاعدة الأخلاقية وسط انشغال بتخيل هيئة الصور أو حجمه.

ولا تسمي هذه الآيات النافخ. أما اسم إسرافيل فيرد في الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية مقروناً بالصور وانتظار الأمر بالنفخ. [١] وبهذا نعرف موضع التسمية، ونفصل بين أصل النفخ القرآني وبين تعيين صاحبه في المصدر الروائي. ولا نضيف إلى ذلك عدداً تفصيلياً لنفخات لم تُدرس نصوصها، أو ترتيباً لكل ما يقع بينها.

يظهر إسرافيل في هذا النص منتظراً للإذن، لا منشئاً للقيامة بإرادة مستقلة. وهذه الصلة بالأمر الإلهي تعيد المعنى الذي صاحبنا منذ أول الكتاب: عظمة الوظيفة لا تجعل صاحبها رباً، ولا يخرج بها المخلوق من العبودية. والنفخ الذي يفرع الخلق يحمل أيضاً نهاية لسلطان الظالم على من ظلم. فالكل يحضر، ولا تضع الحقوق في ازدحام البشر. إن مشهد البعث، على هوله، متصل بوعد العدل الذي لا يتم في الحياة الدنيا وحدها. ويجمع القرآن بين هول النفخ وقرب الأمر من قدرة الله:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ٦٨

سورة الزمر، الآية ٦٨

فالنفخة التي يذكرها النص تتصل بانقطاع الحال الأولى، ثم نفخة أخرى يعقبها القيام والنظر. وفي سورة يس يأتي الخروج من الأجداث والإسراع إلى الرب، وتصبح الحيرة الأولى أمام البعث جزءاً من المشهد الذي ينتهي بالجمع.

أما اسم إسرافيل فصدره في هذا الكتاب الدعاء الثالث وما يتصل به من الروايات، لا ألفاظ الآيات التي تذكر الصور. وتصفه الصحيفة بصاحب الصور وبانتظار الإذن، فيظهر معنى التأهب للطاعة. وهذه الصورة أدق من وصفه بأنه يختار وقت النهاية؛ فانتظار الأمر نفسه أصل في عمله.

ولفظ الصور لا يتيح لنا تعيين مادته أو حجمه أو طريقة انتقال أثره بحسب قوانين الآلات البشرية. ما يثبت هو نفخ له أثر عظيم في الخلق، ووقوعه بأمر الله. ومن هنا يكون ذكر إسرافيل تذكيراً بأن الحكاية التي بدأت قبل آدم لا تقف عند آخر عمر إنسان، بل تتصل بانقلاب عام إلى عالم الحساب.

وترد النفخة في سياقات الفزع وقيام الخلق ومجيئهم أفواجا:

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ دَاخِرِينَ﴾ ٨٧

سورة النمل - ٨٧

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ١٣

سورة الحاقة - ١٣

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ ١٨

سورة النبأ - ١٨

تثبت هذه الآيات النفخ وما يتصل به من انتقال شامل، ولا تسمي النافخ. فتسمية إسرافيل تحفظ في مصدرها الروائي والدعائي، وذكر النفخ يحفظ في القرآن بلفظه. أما عدّ النفخات والجمع بين الفزع والصعق والبعث فيحتاج إلى مقارنة السياقات، ولا يحسمه مجرد اختلاف الأوصاف.

[١] الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، فقرة إسرافيل صاحب الصور.

الفصل ٥٠: الملائكة عند البعث والمحشر

تغير صورة العالم المألوفة في مشاهد القيامة. فلا نقرأ السماء والأرض في تلك الآيات بوصفهما خلفية ثابتة لمشهد بشري، بل جزءاً من انقلاب واسع يذكر القرآن فيه نزول الملائكة وحمل العرش.

﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيلًا﴾ ٢٥

سورة الفرقان، الآية ٢٥

﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ ١٧

سورة الحاقة، الآية ١٧

تثبت الآية الثانية عددًا في مشهد حمل العرش يومئذ، لكنها لا تسمي الثمانية. ولا يكفي ورود العدد لإثبات أسماء متداولة أو صور أجساد مخصوصة. وكل تفصيل زائد يرجع إلى روايته، لا إلى العدد وحده.

وقد يميل القارئ إلى جمع جميع آيات القيامة في خريطة مكانية دقيقة أو جدول زمني بالدقائق. إلا أن النصوص تعرض جوانب متكاملة من يوم عظيم، وليس من اللازم أن تقدم خريطة حسية يمكن رسمها بمقاييس الدنيا. التمييز بين المشاهد لا يعني إنكار ترابطها، بل الامتناع عن ترتيب لم يثبت.

وتتضح هنا محدودية القوة التي يتباهى بها الإنسان. فالجيوش والأموال والمناصب لا تمنحه حق تجاوز الحساب. والملائكة، مع عظم شأنهم في المشهد، لا يحضرون شركاء في الحكم، بل عباداً قائمين بما كلفوا به.

وتجتمع في مشهد المحشر حركة السماء والأرض مع حضور الملائكة صفوفًا. ومن الآيات التي تدين هذا الحضور:

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ٢١ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ٢٢

سورة الفجر، الآيات ٢١-٢٢

يفهم المجيء الإلهي في ضوء تنزيه الله، ولا يصح أن تُفرض عليه حركة الأجسام أو انتقال المحتاج من مكان إلى مكان. أما صفوف الملائكة فهي من وصف مشهد القضاء الذي يواجهه الخلق، لا جموع بشرية جاءت لتنازع الحكم.

وفي الحاقة يظهر الملائكة على أرجاء السماء، ويذكر حمل العرش يومئذ. فالحضور مرتبط بانتظام الأمر مع هول تغير العالم. ومن كان يتصور أن كثرة الخلائق قد تضع فرداً في الحساب، يجد أمامه مشهداً لا فوضى فيه ولا غياب للعدل.

ولا يعطينا هذا التعدد حق رسم خريطة كاملة لكل صف وموضع وطريق. يكفي أن نرى ما يجمع النصوص: قيام الناس لربهم، وحضور الملائكة بأمره، وانكشاف ما لم يكن الناس يشاهدونه في حياتهم الأولى. ويرد ذكر الملائكة في مشهد انتضاء الانتظار وفصل الأمر:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ٢١٠
سورة البقرة، الآية ٢١٠

ويكرر القرآن أن طلب رؤيتهم عن استكبار لا يجعل ظهورهم بشري للمجرمين:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ٢١ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا﴾ ٢٢
سورة الفرقان، الآيات ٢١-٢٢

كما يجمع قيام الروح والملائكة صفًا مع قيد الإذن في الكلام:

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ٣٨
سورة النبأ، الآية ٣٨

ومن مواضع ذكر العروج:

﴿تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٤
سورة المعارج، الآية ٤

لا تبيح هذه الآية تحويل اليوم المذكور إلى معادلة نحسب بها سرعة الملائكة؛ فالسياق غيبي، واللفظ لا يقدم شروط مسألة فيزيائية. والذي يضيفه إلى الحكاية هو خضوع العالم العلوي للأمر، واتساع المشهد الذي لا يحيط الإنسان بتفاصيله من تلقاء نفسه.

من مراجع الآيات في الفصل: الفرقان ٢٥؛ الحاقة ١٧؛ الفجر ٢١-٢٢؛ البقرة ٢١٠؛ الفرقان ٢١-٢٢؛ النبأ ٣٨؛ المعارج ٤.

الفصل ٥١: السائق والشهيد والملائكة عند الحساب

لا يأتي الإنسان إلى الحساب حاملاً الصورة التي صنعها لنفسه فقط. يذكر القرآن مجيء كل نفس مع سائق وشهيد، ثم انكشاف الغطاء الذي كان يحجب عنها حقيقة ذلك اليوم.

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ ٢١ ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمْ فَبَصَرُكُمُ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ٢٢ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ ٢٣

سورة ق، الآيات ٢١-٢٣

«سائق» و«شاهد» في هذا الموضع وصفان، فلا نضعهما في قائمة الأسماء الشخصية لمجرد ورودهما مفردين. وقد ورد ذكر السائق والشهيد في سياق الملائكة في الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية. [١] ويجمع هذا بين الإحالة القرآنية والإضاءة الروائية من غير خلط بين اللفظين والمصدرين.

وعند الحساب تنتهي حيلة تغيير أسماء الأفعال. لا يصير الاعتداء عدلاً لأن صاحبه أحسن وصفه، ولا يضيع المعروف لأن فاعله لم يجد من يمدحه. ومن هنا تتصل كتابة الأعمال التي عرفناها في الدنيا بالشهادة التي يظهر أثرها في الآخرة.

أما الشفاعة فلا تعني امتلاك الملائكة حق تعطيل الحكم الإلهي، أو إمكان استرضائهم بعيداً عن الله.

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ ٢٦

سورة النجم، الآية ٢٦

ترد الآية الأمر إلى الإذن والرضا. ولا يصح أن تتحول الشفاعة إلى ترخيص سابق بالظلم، أو وعد خاص يمنحه إنسان لإنسان بلا حجة. ويكفي المؤمن أن يجمع الرجاء في الرحمة مع رد الحقوق والصدق في التوبة.

إن السائق والشهيد يضعان الإنسان أمام جدية المصير. لكن جدية المصير لا تلغي سعة الرحمة؛ إنها تمنع أن تتحول الرحمة في أذهاننا إلى إنكار للمسؤولية أو استخفاف بآلام من ظلمناهم.

وتبني سورة ق مشهد الحضور على مجيء كل نفس، ثم ذكر السائق والشهيد. فلا يقتصر الأمر على طائفة ظاهرة من الناس تملك من يوصل خبرها؛ كل نفس داخلية في الخطاب، وما كانت تغفل عنه يصبح أمامها.

وهذا يفسر الفرق بين كتابة العمل في الدنيا والشهادة عليه في الآخرة. الأولى تتصل بحفظه حين يقع، والثانية بإظهاره عند الحساب. وقد تكون بين الأوصاف صلوات يشرحها التفسير، لكننا لا نستخرج من ذلك أسماء شخصية لم يسمها النص. السائق والشهيد في معجمنا وصفان، لا اسمان أضيفا إلى جبريل وميكال.

كما أن حضور الملائكة في الحساب لا يجعل الشفاعة سلطة بلا قيد. وقد بين القرآن أن شفاعتهم لا تنفع إلا بعد إذن الله لمن يشاء ويرضى. فلتقتي الأمانة والرحمة والعدل تحت الإذن نفسه. والذي يرجو شفاعة مأذونة لا يجد في هذا الرجاء عذراً للاستمرار في ظلم الناس أو إنكار حقهم.

[١] الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، ختام تعداد الملائكة، فقرة السائق والشهيد.

الفصل ٥٢: مالك وخزنة النار والزبانية

من الأسماء التي يذكرها القرآن صراحة اسم مالك، في نداء يصدر من أهل النار. وليس حضور الاسم تفصيلاً منفصلاً عن المشهد، بل يأتي ضمن طلب للخلاص من العذاب وجواب يكشف استمرار المكث.

﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ ۚ ٧٧﴾

سورة الزخرف، الآية ٧٧

وفي موضع آخر يصف القرآن الملائكة القائمين على النار بالشدة والطاعة. فهم لا يتصرفون انتقاماً شخصياً، ولا يخرجون عن الأمر الذي كلفوا به.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۚ ٦﴾

سورة التحريم، الآية ٦

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۚ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۚ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۚ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنِ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ۚ ٣١﴾

سورة المدثر، الآيات ٣٠-٣١

يثبت سياق سورة المدثر أن أصحاب النار من الملائكة، ويذكر العدد وما يتصل به من ابتلاء للناس. ولا يقدم أسماء التسعة عشر واحداً واحداً، ولذلك لا نضع قائمة مصنوعة لاستكمال العدد. كما لا نجعل اللفظ دليلاً على أن جميع الملائكة الموكلين بكل شأن من شؤون النار محصورون في أسماء عرفناها.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ١٧ ﴿سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ﴾ ١٨

سورة العلق، الآيات ١٧-١٨

ويرد اسم الجماعة «الزبانية» في هذا الوعيد، ويذكرهم الدعاء الثالث من الصحيفة في سياق ملائكة النار. [١] إنهم جماعة، وليس «زبانية» اسم ملك فرد. وكذلك «خزنة النار» وصف لوظيفة وجماعة، وإن كان مالك مذكوراً باسمه في القرآن.

ويكشف نداء أهل النار لملك عن شدة ما هم فيه؛ فهم يسألون انقضاء الحال بالموت، فيأتي الجواب ببقائهم. ليس مالك صاحب حكم يناقض حكم الله أو يملك تخفيفه من عند نفسه، بل خازن يؤدي وظيفته في الدار التي دخلوها.

أما «تسعة عشر» في سورة المدثر فعدد ورد في سياق أصحاب النار، ثم تعقبه الآية ببيان أن أصحابها ملائكة وبأن العدد موضع اختبار لفئات من الناس. فلا يكون الرقم لعبة حسابية يستخرج منها القارئ جميع أسرار الغيب، ولا يساوي عدد كل ملائكة العذاب في سائر النصوص.

والزبانية لفظ جماعة في سورة العلق، في مقابلة من يطغى وينهى عبداً إذا صلى. فتأتي قوة التنفيذ الإلهي مقابل قوة النادي الذي يتوهم الطاغى أنه يحمي. ومن الخطأ أن يتحول وصف القوة إلى أسماء مخترعة لكل واحد من هذه الجماعة؛ القرآن لم يقدم تلك القائمة.

إن عرض العذاب ينبغي أن يبقى مرتبطاً بالعدل والعمل، لا بمشاهد مبتكرة لمجرد إثارة الخوف. وحين تتصل النهاية بملك وخزنة وزبانية، فإن الجامع بينهم أنهم ينفذون أمر الله ولا يظلمون أحداً.

ولا تقف أخبار الخزنة عند أسمائهم وأعدادهم؛ فالقرآن ينقل حوارهم مع أهل النار عند الوصول إليها:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

٧١ ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ٧٢

سورة الزمر - ٧١-٧٢

يذكر السؤال بقيام الحجة والإنذار، ويقر الداخلون بوصول الرسل إليهم. ثم يأتي طلب آخر من داخل العذاب:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ ٤٩ ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ٥٠

سورة غافر - ٤٩-٥٠

لا يستجيب الخزنة من عند أنفسهم بتغيير الجزاء، بل يردون الأمر إلى ما بلغه الرسل وإلى حكم الله. وفي سورة الملك يتكرر السؤال لكل فوج:

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ٨ ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ ٩

سورة الملك - ٨-٩

تجمع هذه المشاهد بين قوة الخزنة ووضوح الحجة التي يذكرون بها؛ فليسوا أصحاب عقوبة مستقلة عن العدل الإلهي. ويكتمل بهذا الحوار معنى صفتهم في سورة التحريم: يفعلون ما يؤمرون، ولا يجعل اشتداد المشهد عملهم صادراً عن هوى.

[١] الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، فقرتا مالك والخزنة والزبانية.

الفصل ٥٣: رضوان وملائكة أبواب الجنة

يقابل مشهد الوعيد مشهد استقبال المتقين. يصلون إلى أبواب الجنة، ويسمعون تحية تحمل السلام والطيب والدخول إلى المقام الذي وعدوا به.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ٧٣ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ٧٤

سورة الزمر، الآيات ٧٣-٧٤

يذكر القرآن الخزنة في هذا الموضع، ولا يسميهم. أما رضوان فيرد اسمه في الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية مع سدنة الجنان. [١] فنقول إن التسمية واردة في هذا النص، ولا نقول إن لفظ رضوان في القرآن اسم خازن الجنة؛ إذ يرد اللفظ القرآني في سياقات الرضا الإلهي، ولا يعين بذلك ملكاً.

ومن الفروق التي يحسن حفظها أن نعيم الجنة لا يجعل كل مخلوق يذكر فيها من الملائكة. فالحور والولدان والخدم أوصاف ومخلوقات تدرس نصوصها في مواضعها، ولا نضمها إلى الملائكة لمجرد اشتراكها في دار واحدة. حدود الاسم والنوع جزء من أمانة التصنيف.

ويظهر الخزنة هنا في مشهد تكريم، لكن التكريم لا يغير مصدر النعمة. فأهل الجنة يحمدون الله الذي صدق وعده وأورثهم الأرض، ولا يقفون عند المخلوق الذي أذن له باستقبالهم. وهكذا يبقى التوحيد حاضراً في آخر الحكاية كما كان حاضراً في أولها.

والسلام عند الباب ليس عبارة زينة؛ إنه نهاية طريق كان فيه خوف وصبر وعمل. وما دام الإنسان في الدنيا، فإن باب الإصلاح مفتوح أمامه، ولا يختصر الرجاء في تخيل النعيم مع الإصرار على أذى الناس.

ويظهر اختلاف الوصول إلى الجنة والنار في طبيعة الاستقبال. تستقبل خزنة الجنة أهلها بالسلام والطيب والإذن بالدخول، فيكون الباب نهاية الخوف وابتداء مقام الإكرام. ولا يتحول الخازن إلى مانح مستقل للجنة؛ فهو يبلغ حكم الرب ووعدده.

وفي الصحيفة يأتي اسم رضوان مع سدنة الجنان، فيربط الاسم بعالم الرضى والإكرام دون أن يجعل كل موضع لكلمة «رضوان» في القرآن اسماً له. فكلمة الرضوان القرآنية تدل في مواضعها على رضا الله، وتعين الملك يحتاج إلى نص يسميه شخصاً.

ولا نعرف من هذه النصوص أسماء جميع الخزنة عند كل باب، ولا نحتاج إلى اختراعها كي تكون الصورة كاملة في معناها. المشهد الذي يقدمه القرآن يكفي لبيان وجه الرحمة: قوم انتهى بهم الصدق والصبر والإيمان إلى استقبال طيب، وملائكة يحيونهم، ودار لا يطلب فيها منهم الاستعداد لفقد جديد كما كانوا في الدنيا.

[١] الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، فقرة رضوان وسدنة الجنان.

الفصل ٥٤: سلام الملائكة وخاتمة المشهد

يختم القرآن بعض مشاهد الجزء بصورة الملائكة يدخلون على أهل الجنة من كل باب، ويحمل خطابهم معنى الصبر وحسن العاقبة.

﴿جَنَاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾
 ٢٣ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ٢٤

سورة الرعد، الآيات ٢٣-٢٤

ليس الصبر في هذا السياق استسلاماً للظلم أو تركاً للحق، بل ثباتاً على ما يرضي الله في طريق التكليف. ويجمع المشهد من صلح من الأهل، فيخرج الرجاء من عزلة الفرد إلى معنى الأُنس والاجتماع على الصلاح.

﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ١٠٣

سورة الأنبياء، الآية ١٠٣

وفي هذا الوعد تتلقاهم الملائكة بالبشارة. لا نعرف أسماء كل من يتلقاهم، ولا نحتاج إلى اختراعها حتى ندرك معنى الأمان بعد الفرع. وقد يكون حضور جماعة بلا أسماء في النص أبلغ في توجيه النظر إلى الرسالة التي تحملها.

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾ ٧٥

سورة الزمر، الآية ٧٥

تلتقي في الآية الأخيرة من سورة الزمر عبادة الملائكة والقضاء بالحق وحمد الله. وهذا هو الإطار الذي يصح أن تختم به الحكاية: ليس للملائكة استقلال عن ربهم، وليس الحساب ساحة عبث، وليس الحمد كلمة تقال بعيداً عن العدل.

سرنا من سؤال الملائكة في بدء قصة آدم إلى تسبيحهم في ختام مشهد القضاء، ومن تعلم الإنسان الأسماء إلى انكشاف عمله. وفي كل مرحلة كان الخبر الغيبي يضع أمامه واجباً حاضراً: أن يعرف حد علمه، ويصون أمانته، ويرحم الخلق، ويتواضع لله.

وهنا تتوقف الحكاية عن إضافة المشاهد، ولا تتوقف دلالتها. فالقارئ يعود إلى يومه، حيث القول الذي يكتبه الكاتبان، والحق الذي ينتظر صاحبه، والمريض الذي يحتاج إلى من يعود، والتوبة التي لا ينبغي تأخيرها. ذلك هو الموضوع الذي تظهر فيه ثمرة ما عرفه.

ويأخذ السلام في آخر الرحلة معنى أعمق مما كان له في أولها. سمعناه تحية في بيت إبراهيم، وقرأناه في سورة القدر، ثم بلغنا به أبواب الجنة. تتغير المواطن، لكن العبارة تحمل الأمن والرحمة والإذن بالقرب.

والملائكة يدخلون على أهل الجنة من كل باب، ويربطون التحية بالصبر. فتعود حياة الإنسان الدنيوية إلى المشهد: ما احتمله من مشقة في الطاعة، وما كلف نفسه عنه من ظلم، وما ثبت عليه قلبه من إيمان. ليست النهاية منفصلة عن العمل الذي حفظه الكتبة وشهد عليه الشهود.

ثم يجيء ختام الزمر بالحافين من حول العرش، والتسبيح، والقضاء بالحق، والحمد لله رب العالمين. بدأت الحكاية بعالم يسبح قبل آدم، وانتهت بعالم يسبح بعد فصل القضاء. وبين الطرفين تعلم الإنسان، وأُرسِل إليه، وحُفظ عمله، ودُعِيَ إلى الرحمة، ثم واجه عاقبة اختياره.

هنا تستقر صورة الملائكة التي يجمعها الكتاب: عباد مكرمون، متنوعو الأعمال، واحدو جهة الطاعة. نعرف من أسمائهم ما جاء به النص، ونحفظ للجماعات أوصافها، ونترك ما لم نعلم. ويكون آخر ما نتلقاه من الحكاية دعوة إلى أن نجعل معرفتنا سبباً في عمل أصدق وحياة أرحم.

من مراجع الآيات في الفصل: الرعد ٢٣-٢٤؛ الأنبياء ١٠٣؛ الزمر ٧٥.

الخاتمة العامة: ماذا تعلمنا من حكاية الملائكة؟

لم تكن الرحلة في عالم الملائكة بحثاً عن كائنات تدهشنا ثم نغلق الكتاب عليها. لقد وجدنا حضورهم متصلاً بالوحي والعبادة والحفظ وكتابة الأعمال والموت والجزاء؛ وهي مواضع تعيد الإنسان إلى السؤال عن معنى حياته ومسؤوليته.

أول ما تعلمناه أن القرب من الله لا يخرج المخلوق من العبودية. جبرئيل رسول أمين، وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وسائر الملائكة لا يملكون أمراً مستقلاً عن خالقهم. ومن عرف ذلك لم يجعل المعرفة بهم باباً إلى الغلو، ولم يطلب منهم استقلالاً ما لا يكون إلا لله. ومشاهد قوتهم ليست دعوة إلى عبادتهم، بل شاهد على تدبير خالقهم.

وتعلمنا أن الغيب لا يصبح أوضح بكثرة ما نضيف إليه. لقد كان بعض ما استقر في الذاكرة العامة وصفاً لا اسماً، وبعضه خبراً يحتاج إلى فحص، وبعض الأسماء لا يرد في القرآن مع ثبوت موضعه في مصدر روائي. لا تنتقص هذه الفروق من الإيمان؛ إنها تحميه من أن يتعلق بما لم يثبت، وتحفظ حق القارئ في التمييز بين درجات المعرفة.

وتعلمنا أيضاً أن الرواية تستحق احتراماً علمياً لا يختزل في ترديد لها. فعرفة الكتاب الذي وردت فيه بداية عمل، وليست نهايته. لا بد من النظر في طريقها ولفظها وسياقها، وفي علاقتها بالقرآن وبسائر الأخبار. وقد يتوقف الباحث في تفصيل مع احتفاظه بأصل المعنى الذي دل عليه نص أوضح. التوقف هنا ليس خصومة مع التراث، بل وفاء له ولمن تُنسب إليه كلماته.

أما الإنسان، فقد ظهر في هذه الحكاية معلوم العمل غير مهم، موضع خطاب ومسؤولية ورجاء. ليس حفظ الملائكة إذناً له بإهمال الأسباب، وليست كتابة الأعمال سبباً للقنوط، وليست الشفاعة رخصة في الظلم. إن لكل معنى ثمة توازنه: مع الحفاظ حذر، ومع الحساب توبة، ومع الرجاء رد للحقوق، ومع الخوف ثقة بعدل الله ورحمته.

ومن أجمل ما انتهت إليه الرحلة اقتران الملائكة بالسلام. نقرأ البشارة والتحية والتثبيت، كما نقرأ الإنذار والحساب، فلا نسمح لصورة واحدة أن تحو بقية النصوص. لا يصح أن نحول الدين إلى رعب دائم، ولا إلى طمأنينة منفصلة عن العمل. والقلوب تحتاج إلى صدق يجمع بين الوعد والوعيد من غير قسوة على المبتلى أو غرور بالصلاح.

وإن بقيت أسماء وأخبار تحتاج إلى استقصاء، فإن الطريق إليها معروف: مصدر يثبت موضعها، ومقارنة تضبط لفظها، وبحث يزن حجتها. لا يغلق هذا الكتاب باب التصحيح والزيادة، ولا يدعي أن عدد الأسماء المجموعة يساوي عدد الملائكة، أو أن ما لم نجده لم يرد في أي مصدر.

أضع خاتمة هذه الرحلة عند الحمد الذي ختم مشهد القضاء بالحق. وأسأل الله أن يجعل ما عرفناه عوناً على الأمانة، وما جهلناه باعثاً على التواضع، وما أخطأنا فيه قابلاً للمراجعة. فالغاية أن نخرج من قراءة الملائكة أكثر صدقاً في حياتنا، وأرحم بالناس، وأشد حرصاً على ألا نقول على الله ما لا نعلم.

الملاحق التوثيقية

تخدم هذه الملاحق القراءة والرجوع إلى المصادر. وعبارة «موضع ورود» لا تعني وحدها صحة السند، كما أن المعجم لا يدعي حصر جميع الأسماء الواردة في كامل المدونة الروائية. جُمعت هنا الأسماء والتسميات التي تناولها الكتاب، مع فصل ما ثبت موضعه عما يحتاج إلى استقصاء إضافي.

ملحق ١ معجم أسماء الملائكة وتسمياتهم

إسرافيل: اسم وارد في الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية، مقرون بصاحب الصور. ليس اسماً قرآنياً. موضع البحث: الفصل ٤٩، وانظر الفصل ٤٨.

إسماعيل: ترد تسمية مَلَك بهذا الاسم في خبر المعراج في تفسير القمي عند تفسير الإسراء ١، ج ٢، ص ٤ في الترقيم المتداول. لا يختلط هذا الاستعمال باسم النبي إسماعيل عليه السلام. وروده في التفسير لا يغني عن بحث طريق الخبر ونسبة مادته. موضع البحث: الفصل ٢٩.

بشير: تسمية في كلام الشيخ المفيد عن سؤال من ينعم في القبر، نقلها المجلسي في بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ٢١١-٢١٢، عن أوائل المقالات. ويبحث المجلسي ص ٢٣٤ علاقتها بمنكر ونكير. لا يثبت تعدد الأشخاص بمجرد تعدد هذه التسميات. موضع البحث: الفصل ٤٥.

جبرئيل، جبريل، جبرائيل: صيغ كتابية للاسم، لا أسماء ثلاثة ملائكة. ورد «جبريل» في القرآن، ومن مواضعه البقرة ٩٧-٩٨ والتحريم ٤. موضع البحث: الفصل ١٥، والفصول ٢٨-٣١. يراعى لفظ المصدر عند النقل الحرفي.

حزقائيل: اسم في روضة الواعظين وبصيرة المتعظين للفتال النيسابوري، ج ١، مجلس في العجائب التي تدل على عظمة الله، الخبر ٧، ص ١٢٩-١٣٠، في خبر عظمة العرش وكثرة الأجنحة. لا يعرض الموضع سنداً كاملاً من المؤلف إلى الإمام، ولا يجزم باتحاده مع دردائيل. موضع البحث: الفصل ٩.

الداعي: تسمية أو لقب للملك في السماء السابعة ينادي في ليالي رجب، في إقبال الأعمال لابن طاووس، ج ٣، ص ١٧٤، فصل ٥ من أعمال رجب. صرح المصنف بأنه نقله من كتب العبادات، ولا يعرض في الموضع سنداً كاملاً. موضع البحث: الفصل ٤٠.

دردائيل: ورد في كمال الدين وتمام النعمة للصدوق، ج ١، الباب ٢٤، الحديث ٣٦، ضمن خبر متصل بولادة الإمام الحسين عليه السلام. لا يسوّى بين هذا الخبر وخبر فطرس لمجرد اشتراكهما في بعض عناصر الحكاية، ولم يُحسم حكم سنده هنا. موضع البحث: الفصل ٣٢.

راحيل: اسم ملك خطيب في بعض أخبار تزويج أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام، نقلها المجلسي في بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٠٢-١٠٤، الحديثان ١٢ و ١٣، وانظر ص ١١٠. يختلف هذا الاستعمال عن الاسم الوارد في أخبار أسرة يعقوب. موضع البحث: الفصل ٣١.

رضوان: اسم وارد في الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية مع سدة الجنان. لا يثبت اسمه الشخصي من موارد لفظ «رضوان» في القرآن. موضع البحث: الفصل ٥٣.

رومان: اسم وارد في الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية مقرون بوصف فتان القبور. لا يستفاد من هذه العبارة وحدها جميع ما يتداول من تفاصيل قصته. موضع البحث: الفصل ٤٦.

زاجر: وردت في الكافي، ج ٦، كتاب العقيدة، باب بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه، الأحاديث ٤ و ٧، عبارة تسمية ملك بهذا اللفظ. يحتمل النظر فيه بوصفه اسماً أو لقباً وظيفياً بحسب استعمال الرواية؛ فلا يحسم التصنيف بمجرد الاشتقاق اللغوي. موضع البحث: الفصل ٣٥.

زوقايل: ورد في بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٤٦، في خبر إدارة الرحي للسيدة فاطمة عليها السلام، ضمن القول من المناقب. لم يُحكم هنا على سند الخبر، ولم يُجزم بتوحيد هذه التسمية مع جبرئيل المذكور في خبر آخر. موضع البحث: الفصل ٣١.

صلصائل: ورد في بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ٢٥٨-٢٥٩، الحديث ٤٧، في مقتطف من حديث المفضل المطول عن الإمام الصادق عليه السلام. يتصل المقتطف بولادة الإمام الحسين، ولا يحسم التشابه مع أخبار فطرس ودردائيل وحدة المسمى أو تعدده. موضع البحث: الفصل ٣٢.

عزرائيل: اسم غير وارد في القرآن، وورد في الدعاء المنقول في بحار الأنوار، ج ٩٨، الباب ١٠٧، ص ٤٠٠، مقروناً بملك الموت. إثبات هذا الموضع لا يغني عن تخريج طرق الدعاء والحكم عليها. موضع البحث: الفصل ٤٣.

فطرس: ورد في أمالي الصدوق، المجلس ٢٨، الحديث ٩، برقم ٢١٥ في الترقيم المتسلسل للطبعة المشار إليها، في خبر ولادة الإمام الحسين عليه السلام. إثبات موضع الاسم منفصل عن الحكم على سند الخبر وتأويل تفاصيله. موضع البحث: الفصل ٣٢.

كرويل: ورد مع جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في خبر إرسال الملائكة إلى إبراهيم وقوم لوط، الكافي، ج ٨، الروضة، الحديث ٥٠٥؛ وبحار الأنوار، ج ٥٦، باب ٢٤، ص ٢٥٦-٢٥٧، الحديث ٢٠. ليس اسماً قرآنياً، ولا يثبت اتحاده بجماعة الكروبيين. نقل عن المجلسي وصف طريقه بالمجهول. موضع البحث: الفصل ٢٠، وصلته بالفصل ٢١.

ماروت: ورد مع هاروت في البقرة ١٠٢. لا تستقل الحكايات المتداولة حولهما بحجية مجرد اتصالها باسمين قرآنيين. موضع البحث: الفصل ٢٥.

كرويل: ٢٠، ٢١؛ التفصيل في المعجم.

مالك: اسم قرآني في الزخرف ٧٧، في خطاب أهل النار. وتذكر الصحيفة السجادية في الدعاء الثالث مالكا والخزنة. موضع البحث: الفصل ٥٢.

مبشر: تسمية وردت مع بشير في كلام المفيد المنقول في بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ٢١١-٢١٢؛ وناقش المجلسي ص ٢٣٤ كونها تسمية للملكين بحسب حال الميت أو دالة على غيرهما. لا يحسم المعجم هذا الاحتمال بمجرد عد الألفاظ. موضع البحث: الفصل ٤٥.

منبه: تسمية في خبر حديث سلمان مع ميت، وفيه ملك يأمر بكتابة الأعمال، نقله المجلسي في بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ٢٣٥، عن كتاب الفضائل لشاذان بن جبرئيل. قد يكون لقباً، ولا يثبت اتحاده مع رومان بمجرد تشابه الوظيفة. موضع البحث: الفصل ٤٦.

المنصور: ورد في كامل الزيارات لابن قولويه، الباب ٧٧، الحديث ٩، في وصف رئيس ملائكة متصلين بزيارة الإمام الحسين عليه السلام. يُحفظ اللفظ كما ورد، مع بقاء بحث كونه اسماً شخصياً أو لقباً، وبحث سند الخبر. موضع البحث: الفصل ٣٣.

منكر: وترد صيغة «ناكر» في نقل المجلسي عن المفيد، ج ٥٦، ص ٢١٢، ولا تُعدّ هنا اسم ملك مستقل لمجرد اختلاف الصيغة. اسم وارد في الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية، وفي روايات باب المسألة في القبر من الكافي، ج ٣. موضع البحث: الفصل ٤٥.

ميكال، ميكائيل: «ميكال» لفظ الاسم في البقرة ٩٨، و«ميكائيل» صيغة شائعة في الروايات والأدعية، ومنها الدعاء الثالث من الصحيفة. لا يُعدّ اختلاف الصيغة تعدداً في الملائكة. موضع البحث: الفصل ١٢.

نكير: اسم وارد مع منكر في الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية وفي روايات السؤال في القبر. ليس اسماً قرآنياً. موضع البحث: الفصل ٤٥.

هاروت: ورد مع ماروت في البقرة ١٠٢. تُقرأ قصتهما من الآية أولاً، ثم تفحص الروايات المفسرة، من غير افتراض صحة الزيادات المشهورة. موضع البحث: الفصل ٢٥.

ضابط المعجم: يضم هذا المعجم أربعة وعشرين مدخلاً من الأسماء والتسميات التي عُنِ موضعها في المصادر المبينة، مع حفظ اختلاف درجات النقل. لا تمثل المداخل أربعة وعشرين فرداً بالضرورة؛ فبعضها يحتل اللقب، وبعض التسميات قد يرجع إلى المسمى نفسه. وتبقى صيغ جبريل وميكال وناكر ضمن مداخلها، ولا تُضاعف بها الأعداد.

ملحق ٢ الألقاب والأوصاف والجماعات والوظائف

ملك الموت: عنوان قرآني في السجدة ١١، وليس في الآية اسم شخصي. وتذكر الأنعام ٦١ رسل التوفي، وتذكر الصحيفة أعوان ملك الموت. انظر الفصل ٤٣.

الروح: لفظ متعدد السياقات، فلا يحكم بوحدة المراد في كل آية ورواية. درس الكتاب بعض مواضعه في الفصل ٧، وفي مشهد مريم في الفصل ٣، وفي ليلة القدر في الفصل ٣٤.

الروح الأمين وروح القدس: لقبان أو تعبيران يحتاج تعيين المراد بهما إلى السياق والتفسير، لا إلى عدّ كل تعبير اسماً لشخص مستقل. انظر الفصلين ١٥ و ٢٨.

أعظم ملك: وصف في الخطبة القاصعة من نهج البلاغة للملك الذي قرّن بالنبي صلى الله عليه وآله منذ صغره، ولا يسميه النص المنقول. انظر الفصل ٢٧.

رقيب وعetid: وصفان في ق ١٨؛ لا يتخذ ورودهما وحده دليلاً على أنهما اسمان شخصيان. انظر الفصل ٣٨.

سائق وشهيد: وصفان في ق ٢١، مع ورودهما في سياق الملائكة في الدعاء الثالث من الصحيفة. انظر الفصل ٥١. حملة العرش والحافون من حوله: جماعات تذكرها آيات منها غافر ٧ والزمر ٧٥، وتختلف وظائفها وأوصافها بحسب السياق. انظر الفصول ٩ و ٥٠ و ٥٤.

المقربون والروحانيون وملائكة المحب: أوصاف وجماعات مذكورة في النصوص التي تناولها الفصلان ٦ و ١١؛ لا يُحوّل كل وصف إلى رتبة ذات حدود عددية لم يبيّن النص.

الحفظة والكرام الكاتبون والمتلقيان: تعبيرات متصلة بالحفظ وكتابة العمل، وتُدرس العلاقة بينها في ضوء الآيات والروايات، لا بمجرد الترادف المتخيل. انظر الفصول ٣٦-٣٨.

المعقبات: تعبير قرآني في الرعد ١١، يدرس مع تفسيره ووظيفته، ولا يعد اسماً شخصياً. انظر الفصل ٣٦.

السفرة الكرام البررة: وصف قرآني في عبس ١٥-١٦، وتذكر الصحيفة السفرة والحفظة. يُرجع في تفصيل التعيين إلى التفسير. لا يساوي اللفظ تلقائياً كل صنف من الكاتين.

خزان المطر وزواجر السحاب ومشيعو الثلج والبرد والموكلون بالجبال: جماعات وظيفية يذكرها الدعاء الثالث من الصحيفة، وتناولها الفصل ١٣ ضمن حدود دلالة النص.

ملائكة الرحم: تسمية وصفية لموضوع روايات بدء خلق الإنسان في الكافي، وليست اسم جماعة قرآنياً بلفظها. انظر الفصل ٣٥.

ملائكة التأييد وملائكة مجالس الخير وعيادة المرضى: تصنيف موضوعي بحسب الأعمال المذكورة في المصادر، لا إثبات لفرق مغلقة لا تتداخل وظائفها. انظر الفصول ٣٠ و ٣٩-٤١.

خزنة النار والزبانية: جماعات، وليس كل تعبير اسم مَلَك فرد. انظر الفصل ٥٢.

خزنة الجنة وسدنة الجنان: أوصاف لوظيفة الاستقبال والخدمة المأذون بها، مع تمييز اسم رضوان الوارد في الصحيفة عن لفظ الخزنة القرآني. انظر الفصل ٥٣.

الكروبيون: لفظ جماعي ورد في الخبر المنقول عن بصائر الدرجات في بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ١٨٤، الحديث ٢٦، بطريق فيه رفع. لا يُحوّل إلى اسم مَلَك واحد ولا إلى تقسيم قطعي لجميع مراتب الملائكة. انظر الفصل ١١.

الملأ الأعلى: تعبير قرآني في الصافات ٨ وص ٦٩، يُبحث في سياق العالم العلوي؛ ليس اسماً شخصياً. انظر الفصل ١١.

الصفات والزاجرات والتاليات والمقسمات والمرسلات والفارقات والملقيات والنازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات: أوصاف قرآنية في مطالع سور متعددة، فسرت جملة منها بالملائكة، مع اختلاف التفسير في بعض الألفاظ. لا تُعدّ أسماء شخصية، ولا يسوّى احتمال التفسير بالاسم الصريح. انظر الفصل ١٤.

الحرس: وصف يرد في خبر الجن عن السماء في الجن ٨-٩، ولا تعطي الآيتان أسماء أفراد الحرس. انظر الفصل ١٠.

الملَك في خبر الحجر الأسود: وصف في رواية بدء الحجر من الكافي، ج ٤، كتاب الحج، الحديث ٣؛ لم يسمه الخبر اسماً شخصياً. انظر الفصل ١٨.

ملائكة شهود الفجر، وملائكة طالب العلم، والموكلون بالصائمين: أوصاف بحسب الأعمال الواردة في الروايات، لا أسماء أشخاص؛ انظر الفصل ٣٩.

الملائكة الموكلون بزائر المؤمن: وصف في الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب زيارة الإخوان، الحديث ١؛ انظر الفصل ٤١.

ملحق ٣ دليل الآيات القرآنية الواردة بنصها

يرتب الدليل الآيات بحسب ترتيب المصحف، ويذكر أرقام الفصول التي وردت فيها. وتشير عبارة «المقدمة العامة» إلى الاستشهاد السابق للفصل الأول. أما الإحالات الموجزة إلى آيات لم تُنقل بنصها فتبقى في مراجع فصولها.

سورة البقرة: ٣٠ (الفصل ١)؛ ٣١ (الفصل ١٦)؛ ٣٢ (الفصل ٥، الفصل ١٦)؛ ٣٣ (الفصل ١٦)؛ ٣٤ (الفصل ١٧)؛ ٣٧-٣٩ (الفصل ١٨)؛ ٨٧ (الفصل ٢٦)؛ ٩٧ (الفصل ١٥)؛ ٩٨ (الفصل ١٢)؛ ١٠٢ (الفصل ٢٥)؛ ١٦١ (الفصل ٤٠)؛ ١٧٧ (المقدمة العامة)؛ ٢١٠ (الفصل ٥٠)؛ ٢٤٨ (الفصل ٢٣)؛ ٢٥٣ (الفصل ٢٦)؛ ٢٨٥ (المقدمة العامة).

سورة آل عمران: ٦ (الفصل ٣٥)؛ ١٨ (الفصل ٤)؛ ٣٩ (الفصل ٢٦)؛ ٤٢-٤٥ (الفصل ٢٦)؛ ٨٠ (الفصل ٤)؛ ٨٩-٨٧ (الفصل ٤٠)؛ ١٢٣-١٢٦ (الفصل ٣٠).

- سورة النساء: ٩٧-٩٩ (الفصل ٤٤)؛ ١٣٦ (الفصل ٢٨)؛ ١٦٦ (الفصل ٢٨)؛ ١٧١ (الفصل ٧)؛ ١٧٢ (الفصل ١١).
- سورة المائدة: ١١٠ (الفصل ٢٦).
- سورة الأنعام: ٨ (الفصل ١٤)؛ ٩ (الفصل ٣)؛ ٥٠ (الفصل ١٤)؛ ٦١ (الفصل ٤٣)؛ ٩٣ (الفصل ٤٤)؛ ١١١ (الفصل ١٤)؛ ١٥٨ (الفصل ٤٨).
- سورة الأعراف: ١١ (الفصل ١٧)؛ ٢٠ (الفصل ١٨)؛ ٣٧ (الفصل ٤٤)؛ ٢٠٦ (الفصل ٤).
- سورة الأنفال: ٩-١٢ (الفصل ٣٠)؛ ٥٠-٥١ (الفصل ٤٤).
- سورة التوبة: ٢٦ (الفصل ٣٠)؛ ٤٠ (الفصل ٣٠).
- سورة يونس: ٢١ (الفصل ٣٧).
- سورة هود: ١٢ (الفصل ١٤)؛ ٣١ (الفصل ٢٤)؛ ٣٧ (الفصل ١٩)؛ ٦٩-٧٦ (الفصل ٢٠)؛ ٧٧-٨٣ (الفصل ٢١).
- سورة يوسف: ٣١ (الفصل ٢٢).
- سورة الرعد: ١١ (الفصل ٣٦)؛ ١٣ (الفصل ١٣)؛ ٢٣-٢٤ (الفصل ٥٤).
- سورة إبراهيم: ٢٧ (الفصل ٤٥)؛ ٣٧ (الفصل ٢٢).
- سورة الحجر: ٧-٨ (الفصل ١٤)؛ ٢٨-٣٠ (الفصل ١٧)؛ ٥١-٦٠ (الفصل ٢٠)؛ ٦١-٧٧ (الفصل ٢١).
- سورة النحل: ٢ (الفصل ١٤)؛ ٢٨-٢٩ (الفصل ٤٤)؛ ٣٢ (الفصل ٤٤)؛ ٣٣ (الفصل ٤٨)؛ ٤٩-٥٠ (الفصل ٤)؛ ١٠٢ (الفصل ٢٨).
- سورة الإسراء: ١ (الفصل ٢٩)؛ ٣٦ (الفصل ٤٢)؛ ٤٠ (الفصل ٤)؛ ٦١ (الفصل ١٧)؛ ٧٨ (الفصل ٣٩)؛ ٨٥ (الفصل ٧)؛ ٩٢ (الفصل ٣٠)؛ ٩٥ (الفصل ١٤).
- سورة الكهف: ٤٩ (الفصل ٣٧)؛ ٥٠ (الفصل ٨).
- سورة مريم: ١٧ (الفصل ٣)؛ ١٨-٢١ (الفصل ٢٦)؛ ٥٦-٥٧ (الفصل ١٩)؛ ٦٤ (الفصل ١٤).
- سورة طه: ٩٥-٩٧ (الفصل ٢٣)؛ ١١٦ (الفصل ١٧).
- سورة الأنبياء: ١٩-٢٠ (الفصل ٤)؛ ٢٦-٢٩ (الفصل ٤)؛ ٩١ (الفصل ٢٦)؛ ١٠٣ (الفصل ٥٤).
- سورة الحج: ٧٥ (الفصل ١٤).
- سورة المؤمنون: ٢٤ (الفصل ١٩)؛ ٩٩-١٠٠ (الفصل ٤٧).
- سورة الفرقان: ٧ (الفصل ١٤)؛ ٢١-٢٢ (الفصل ٥٠)؛ ٢٥ (الفصل ٥٠).

- سورة الشعراء: ١٩٢-١٩٥ (الفصل ١٥).
- سورة النمل: ٨٧ (الفصل ٤٩).
- سورة العنكبوت: ٣١-٣٥ (الفصل ٢١).
- سورة السجدة: ١١ (الفصل ٤٣).
- سورة الأحزاب: ٩ (الفصل ٣٠)؛ ٤٠ (الفصل ٣١)؛ ٤٣ (الفصل ٤٠)؛ ٥٦ (الفصل ٣٩).
- سورة سبأ: ٤٠-٤١ (الفصل ٤).
- سورة فاطر: ١ (الفصل ٢).
- سورة يس: ٥١-٥٤ (الفصل ٤٩).
- سورة الصافات: ١-٥ (الفصل ١٤)؛ ٨ (الفصل ١١)؛ ١٤٩-١٥٣ (الفصل ٤)؛ ١٦٤-١٦٦ (الفصل ٦).
- سورة ص: ٢١-٢٥ (الفصل ٢٤)؛ ٦٩ (الفصل ١١)؛ ٧١-٧٦ (الفصل ١٧).
- سورة الزمر: ٤٢ (الفصل ٤٣)؛ ٦٨ (الفصل ٤٨، الفصل ٤٩)؛ ٧١-٧٢ (الفصل ٥٢)؛ ٧٣-٧٤ (الفصل ٥٣)؛ ٧٥ (الفصل ٥٤).
- سورة غافر: ٧-٩ (الفصل ٩)؛ ٤٦ (الفصل ٤٧)؛ ٤٩-٥٠ (الفصل ٥٢).
- سورة فصلت: ١٤ (الفصل ١٩)؛ ٣٠-٣٢ (الفصل ٤٤)؛ ٣٨ (الفصل ٤).
- سورة الشورى: ٥ (الفصل ٤٠)؛ ٥١ (الفصل ٢٨)؛ ٥٢ (الفصل ٧).
- سورة الزخرف: ١٩ (الفصل ٤)؛ ٥٣ (الفصل ٢٣)؛ ٦٠ (الفصل ٦)؛ ٧٧ (الفصل ٥٢)؛ ٨٠ (الفصل ٣٧).
- سورة محمد: ٢٧-٢٨ (الفصل ٤٤).
- سورة ق: ١٧-١٨ (الفصل ٣٨)؛ ٢١-٢٣ (الفصل ٥١).
- سورة الذاريات: ١-٤ (الفصل ١٤)؛ ٢٤-٣٠ (الفصل ٢٠)؛ ٣١-٣٧ (الفصل ٢١).
- سورة الطور: ٤ (الفصل ١٠).
- سورة النجم: ٥-١٨ (الفصل ٢٩)؛ ٢٦ (الفصل ٥١)؛ ٢٧-٢٨ (الفصل ٤).
- سورة القمر: ٣٧ (الفصل ٢١).
- سورة الرحمن: ١٤-١٥ (الفصل ٨)؛ ٢٦-٢٧ (الفصل ٤٨).
- سورة الواقعة: ٨٣-٨٧ (الفصل ٤٤).
- سورة المجادلة: ٢٢ (الفصل ٧).
- سورة التحريم: ٤ (الفصل ٣٠)؛ ٦ (الفصل ٥٢)؛ ١٢ (الفصل ٢٦).

- سورة الملك: ٨-٩ (الفصل ٥٢).
- سورة الحاقة: ١٣ (الفصل ٤٩)؛ ١٧ (الفصل ٥٠).
- سورة المعارج: ٤ (الفصل ٥٠).
- سورة الجن: ٨-٩ (الفصل ١٠)؛ ٢٦-٢٨ (الفصل ١٤).
- سورة المدثر: ٣٠-٣١ (الفصل ٥٢).
- سورة المرسلات: ١-٦ (الفصل ١٤).
- سورة النبأ: ١٨ (الفصل ٤٩)؛ ٣٨ (الفصل ٥٠).
- سورة النازعات: ١-٥ (الفصل ١٤).
- سورة عبس: ١٣-١٦ (الفصل ٣٩).
- سورة التكويم: ١٩-٢٣ (الفصل ١٥).
- سورة الانفطار: ١٠-١٢ (الفصل ٣٧).
- سورة الطارق: ٤ (الفصل ٣٦).
- سورة الفجر: ٢١-٢٢ (الفصل ٥٠).
- سورة العلق: ١٧-١٨ (الفصل ٥٢).
- سورة القدر: ١-٥ (الفصل ٣٤).

ملحق ٤ دليل المصادر الروائية ومواضع الإفادة

الصحيفة السجادية: الدعاء الثالث، الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرب. استخدم في صفات الملائكة وجماعاتهم، وفي أسماء إسرائيل ورضوان ورومان ومنكر ونكير، وفي ذكر ملك الموت وأعوانه ومالك والخزنة والسائق والشهيد. لا ينفرد تسجيل الموضوع بحسم البحث السندي لكل تفصيل.

نهج البلاغة: الخطبة الأولى في أصناف الملائكة؛ وخطبة الأشباح، رقم ٩١، في اختلاف صورهم وأقذارهم وصفاء عبادتهم ومعرفتهم، وترد برقم ٩٠ في بعض الطبقات؛ والخطبة القاصعة، رقم ١٩٢، في الملك المقترن بالنبي صلى الله عليه وآله. يُرجع إلى اسم الخطبة ومنها عند اختلاف الترقيم. مواضع الإفادة من الأشباح: الفصول ٣-٦ و ١١ والملحق ٧.

الكافي، ج ١: كتاب الحجّة، باب الروح التي يسدّد الله بها الأئمة عليهم السلام، الحديث ١؛ وباب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام، الحديث ٥. مواضع الإفادة الرئيسة: الفصول ٧ و ٣١ و ٣٤.

الكافي، ج ٢: كتاب فضل القرآن، باب البيوت التي يقرأ فيها القرآن، الحديث ٣. موضع الإفادة: الفصل ٣٩، مع صلته بالفصل ٤٢.

الكافي، ج ٣: كتاب الجنائز، باب ثواب عيادة المريض، الحديثان ٢ و ٨؛ وباب المسألة في القبر ومن يسأل ومن لا يسأل، الحديثان ٧ و ١٢. موضع الإفادة: الفصلان ٤١ و ٤٥.

الكافي، ج ٦: كتاب العقيدة، باب بدء خلق الإنسان وتقلبه في بطن أمه، الحديثان ٤ و ٧، ومن مواضع الإفادة تسمية «زاجر». موضع الإفادة: الفصل ٣٥. ومن الجزء نفسه كتاب الزي والتجمل والمروءة، باب تزويق البيوت، الحديثان ١٢ و ١٣، ص ٥٢٨، في الفصل ٤٢.

الأمالي للصدوق: المجلس ٢٨، الحديث ٩، برقم ٢١٥ في الترقيم المتسلسل، ص ٢٠٠ وما بعدها من طبعة مؤسسة البعثة المشار إليها، خبر فطرس. موضع الإفادة: الفصل ٣٢.

كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ج ١، الباب ٢٤، الحديث ٣٦، ص ٢٨٢-٢٨٤ في الترقيم المراجع، خبر دردائيل؛ وانظر الحديث ٣٠ من الباب نفسه في سياق ليلة القدر. موضع الإفادة: الفصلان ٣٢ و ٣٤.

كامل الزيارات لابن قولويه: الباب ٧٧، أخبار ملائكة زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وبخاصة الحديث ٩ الذي ورد فيه لفظ المنصور. موضع الإفادة: الفصل ٣٣. يقدم رقم الباب والحديث على رقم الصفحة عند اختلاف الطبقات.

تفسير القمي: تفسير الإسراء ١، خبر المعراج، ج ٢، ص ٤ في الترقيم المراجع، وفيه تسمية إسماعيل. موضع الإفادة: الفصل ٢٩. نسبة كل قطعة من التفسير المتداول إلى مؤلفه وطرق نقلها مسألة لا يحسمها عنوان الكتاب وحده.

بحار الأنوار: ج ٥٦، الأبواب ٢٣-٢٥ في حقيقة الملائكة وصفاتهم والمقربين وعصمتهم وهاروت وماروت؛ ومن مواضع الإفادة ص ١٨٤ و ١٩١ و ٢١١-٢١٢ و ٢٢١ وما بعدها و ٢٣٣-٢٣٥ و ٣١٩-٣٢٣. هذا المجلد مرقم ٥٩ في بعض ترتيبات الموسوعة. وفُصلت الأحاديث المنقولة عن الشروح والأقوال الكلامية.

بحار الأنوار، ج ٤٣: ص ٤٦ في زوقايل؛ وص ١٠٢-١٠٤ وص ١١٠ في راحيل؛ وص ٢٥٨-٢٥٩، الحديث ٤٧، في صلصائيل. وج ٩٨، الباب ١٠٧، ص ٤٠٠، في عزرائيل. تدل هذه الإحالات على موضع ورود الاسم، ولا تمنح جميع طرق الأخبار حكماً واحداً.

روضة الواعظين وبصيرة المتعظين: ج ١، مجلس في العجائب التي تدل على عظمة الله، الخبر ٧، ص ١٢٩-١٣٠، خبر حزقائيل. موضع الإفادة: الفصل ٩.

إقبال الأعمال: ج ٣، ص ١٧٤، فصل ٥ من أعمال رجب، خبر الملك المسمى الداعي. موضع الإفادة: الفصل ٤٠.

أصول وردت بواسطة نقل المجلسي: الاختصاص في خبر الخلق من نور؛ بصائر الدرجات في الكروبيين؛ التوحيد في الحفظ؛ أوائل المقالات في بشير ومبشر؛ الفضائل لشاذان بن جبرئيل في منبه؛ والتفسير المنسوب إلى الإمام العسكري في خبر هاروت وماروت. تُذكر الوساطة عند كل موضع، ولا يُدعى الرجوع المباشر إلى أصل لم تتم مراجعته مباشرة.

الكافي، استكمال مواضع الإفادة: ج ١، كتاب فضل العلم، باب ثواب العالم والمتعلم، الحديث ١؛ وكتاب الحجّة، باب دخول الملائكة بيوت الأئمة، الحديث ١. ج ٢، كتاب الإيمان والكفر، باب زيارة الإخوان، الحديث ١. ج ٣، كتاب الصلاة، باب وقت الفجر، الحديث ٢. ج ٤، كتاب الحج، باب بدء الحجر والعدة في استلامه، الحديث ٣. ج ٨، الروضة، الحديث ٥٠٥، خبر كرويل. مواضع البحث: الفصول ١٨ و ٢٠ و ٣١ و ٣٩ و ٤١. الأمالي للصدوق، استكمال: المجلس الثالث عشر، الحديث ١، استغفار الملائكة للصائمين؛ انظر الفصل ٣٩.

مرآة العقول، استكمال: ج ١، ص ١١٣، في طريقي خبر طالب العلم؛ وج ٩، ص ٥٢، في خبر زيارة المؤمن. تحفظ الأحكام منسوبة إلى المجلسي وعلى الطرق المعينة.

ملحق ٥ نتائج التحقيق ومواضع الاختلاف

أولاً: تمييز الاسم القرآني. وردت أسماء جبريل وميكال ومالك وهاروت وماروت في النص القرآني؛ وورد ملك الموت بعنوان الوظيفة. لا يتحول ورود لفظ «رضوان» في سياق رضا الله إلى تسمية قرآنية لخازن الجنة، ولا يتحول أوصاف رقيب وعتيد وسائق وشهيد إلى أسماء شخصية بمجرد الأفراد.

ثانياً: مادة الخلق. عُنِي خبر الخلق من نور في بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ١٩١، الحديث ٤٨، منقولاً عن الاختصاص، وفي الطريق لفظ «رفعه». النتيجة إثبات الموضع والمضمون المنقول مع وصف انقطاع الوسائط المعروضة، دون دعوى سند صحيح متصل أو تعيين ماهية فيزيائية للنور.

ثالثاً: عزرائيل والأسماء الدعائية. ثبت موضع عزرائيل في دعاء أورده بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٤٠٠. ووردت أسماء إسرافيل ورضوان ورومان في الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية. تُقرأ هذه الأسماء في جنس نصوصها، ولا تُنسب إلى آيات لم تذكرها.

رابعاً: فطرس ودردائيل وصلصائيل. عُنِيَت مواضعها في أمالي الصدوق وكمال الدين وبحار الأنوار، مع اختلاف طرقها وتفصيلاتها. ولا يثبت توحيد الملائكة الثلاثة بتشابه المشهد، كما لا يصح جعل ما في بعض التفاصيل من عقوبة حجة مستقلة على نقض الأصل القرآني في الطاعة؛ بل يتوقف تقويمها على السند والدلالة. وورد حزقائيل في مصدر آخر في باب عظمة العرش، فلا يُدمج بها تلقائياً.

خامساً: هاروت وماروت. يثبت النص القرآني التعليم والابتلاء والتحذير من الكفر، وتوجد في التراث قصص مختلفة حولهما. ومن ذلك خبر في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ينفي نسبة المعصية إليهما، نقله المجلسي في ج ٥٦، ص ٣١٩-٣٢٣. يجب حفظ النقاش في نسبة المصدر وعدم جعل كل قصة مشهورة جزءاً من الآية.

سادساً: الروح والتسديد. يرد في الكافي خبر عن خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل في باب الروح التي يسددها الله بها الأئمة، وقد حكم المجلسي على الحديث الأول بالصحة في مرآة العقول، ج ٣، ص ١٦٩. وهذا حكم منسوب إلى عالم على طريق معين، ولا يجعل جميع موارد لفظ الروح في القرآن ذات معنى واحد.

سابعاً: فاطمة عليها السلام. عُنَّ خبر إتيان جبرئيل بعد وفاة النبي في الكافي، كتاب الحجّة، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة، الحديث ٥، وحكم المجلسي عليه بالصحة في مرآة العقول، ج ٣، ص ٥٩. ويفصل الكتاب بين التحديث والتسليّة المذكورين فيه وبين نزول قرآن جديد أو دعوى نبوة. أما خبرا راحيل وزوقايل فلهما مواضعهما وطرقهما المختلفة.

ثامناً: تسميات القبر. أضيف بشير ومبشر من نقل المجلسي عن المفيد، وأثبتت صيغة ناكر ضمن منكر. وأضيف منبه من الخبر الذي نقله المجلسي عن الفضائل. لا يحسم تعدد الألفاظ عدد الأفراد؛ ومناقشة المجلسي في الاتحاد أو الاختلاف شرح للمادة، وليست حديثاً جديداً عن المعصوم.

تاسعاً: البيوت ودخول الملائكة. عُنَّ الحديثان ١٢ و ١٣ من باب تزويق البيوت في الكافي، ج ٦، ص ٥٢٨، مع اختلاف لفظيهما وقيودهما. ونُقل حكم المجلسي بضعف الحديث ١٢ في مرآة العقول، ج ٢٢، ص ٤٤٠. لا يلزم من هذا الحكم تصحيح جميع النصوص الأخرى أو تضعيفها، ولا يغني العرض عن البحث الفقهي عند إصدار حكم عملي.

عاشراً: حدود الجمع. شمل الجرد القرآني مواضع ذكر الملائكة وأسمائهم الصريحة، وُضِّمت إليها الأوصاف والسياقات المتصلة بالموضوع. وفي المادة الروائية اتسع الجمع لأبواب الملائكة والمقرّين والعصمة في بحار الأنوار ولمواضع محددة في أصولها والكتب الأخرى. الحصر المعجمي مقيد بهذا النطاق؛ فلا يُدعى به استيعاب كل رواية في جميع المطبوعات والمخطوطات، ولا تُسوّى صحة النسبة إلى كتاب بصحة الصدور عن المعصوم.

ملحق ٦ معجم المصطلحات

الاسم الشخصي: اللفظ الذي يعيّن ذاتاً، مثل جبريل ومالك في المواضع القرآنية المشار إليها.

اللقب والوصف: لفظ يدل على صفة أو عمل، وقد يُستعمل لقباً في بعض النصوص؛ لا يحكم بأنه اسم شخصي بلا قرينة.

التمثّل: الظهور في هيئة يذكرها النص، كما في قصة مريم، ولا يقتضي وحده تفسيراً مادياً لكيفيته.

الغيب: ما غاب عن إدراك الإنسان في المقام المعين، ويعرف ما أخبر الله به منه بطريق دليله، لا بمجرد التخيل.

التخريج: تعيين موضع الخبر في مصادره وطرقه وصيغ نقله، وهو غير الحكم النهائي على صحته. السند: سلسلة الناقلين التي يروى بها الخبر؛ ودراسته جانب من تقويم الرواية. المتن: ألفاظ الخبر ومضمونه، وتدرس دلالاته وسياقه وعلاقته بسائر الأدلة. الصحيح: حكم حديثي له شروط تختلف تفاصيل تطبيقها بين المناهج؛ إذا نُقل حكم عالم نُسب إليه ولم يُعرض بوصفه إجماعاً.

المشهور: ما شاع تداوله؛ والشهرة لا تقوم وحدها مقام الإثبات التفصيلي للصدور. البرزخ: المرحلة الفاصلة إلى يوم البعث كما يدل سياق المؤمنون ٩٩-١٠٠؛ وتحتاج تفاصيل أحوالها إلى نصوصها. الصور: اللفظ الوارد في آيات النفخ، ويرد إسرافيل صاحب الصور في الصحيفة السجادية؛ لا تحدد الكيفية بالصور الفنية.

الشفاعة: أمر مربوط بإذن الله ورضاه في النصوص المستشهد بها، لا سلطة مستقلة تمنح مخلوقاً حق تجاوز حكمه. البدء: مصطلح عقدي يرد في بعض الأخبار، ولا يراد به نسبة الجهل السابق إلى الله. وتفصيله خارج موضوع هذا الكتاب؛ ذكر هنا لتنبية القارئ إلى عدم تحميل روايات كتابة المقادير معنى الجبر بلا بحث.

ملحق ٧ نصوص أساسية في معرفة الملائكة

يضع هذا الملحق بين يدي القارئ نص الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية، ثم مقاطع مختارة من خطبة الأشباح في نهج البلاغة. المقصود أن يقرأ الألفاظ في سياقها، ويرجع منها إلى الشرح الموضوعي في الفصول. وما يلي نقل للنصوص، أما الفقرات التعريفية وعناوين الأقسام فمن ترتيب هذا الكتاب.

أولاً: الدعاء الثالث من الصحيفة السجادية — الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرب

«اللَّهُمَّ وَحَمَلَةُ عَرْشِكَ الَّذِينَ لَا يَقْتُرُونَ مِنْ تَسْبِيحِكَ ، وَلَا يَسْأُمُونَ مِنْ تَقْدِيرِكَ ، وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ ، وَلَا يُؤْثِرُونَ التَّقْصِيرَ عَلَى الْجِدِّ فِي أَمْرِكَ ، وَلَا يَغْفُلُونَ عَنِ الْوَلَةِ إِلَيْكَ.»

«وَإِسْرَافِيلُ صَاحِبُ الصُّورِ ، الشَّاحِصُ الَّذِي يَنْتَظِرُ مِنْكَ الْإِذْنَ ، وَحُلُولَ الْأَمْرِ ، فَيَنْبِهُ بِالنَّفْحَةِ صَرَغِي رَهَائِنِ الْقُبُورِ.»

«وَمِيكَائِيلُ ذُو الْجَاهِ عِنْدَكَ ، وَالْمَكَانِ الرَّفِيعِ مِنْ طَاعَتِكَ.»

«وَ جَبْرِيلُ الْأَمِينُ عَلَى وَحْيِكَ ، الْمُطَاعُ فِي أَهْلِ سَمَاوَاتِكَ ، الْمَكِينُ لَدَيْكَ ، الْمُقَرَّبُ عِنْدَكَ وَالرُّوحُ الَّذِي هُوَ عَلَى مَلَائِكَةِ الْحُجُبِ. وَالرُّوحُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَمْرِكَ ، فَصَلَ عَلَيْهِمْ ، وَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِمْ مِنْ سُكَّانِ سَمَاوَاتِكَ ، وَأَهْلِ الْأَمَانَةِ عَلَى رِسَالَاتِكَ وَالَّذِينَ لَا تَدْخُلُهُمْ سَأْمَةٌ مِنْ دُؤُوبٍ ، وَلَا إِعْيَاءٌ مِنْ لُغُوبٍ وَلَا فُتُورٌ ، وَلَا تَشْغَلُهُمْ عَنْ تَسْبِيحِكَ الشَّهَوَاتُ ، وَلَا يَقْطَعُهُمْ عَنْ تَعْظِيمِكَ سَهْوُ الْغَفَلَاتِ. انْخَشَعُ الْأَبْصَارُ فَلَا يَرُومُونَ النَّظَرَ إِلَيْكَ ، النَّوَكَسُ الْأَذْقَانِ ، الَّذِينَ قَدْ طَالَتْ رَغْبَتُهُمْ فِيمَا لَدَيْكَ ، الْمُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ الْآثِكِ ، وَالْمُتَوَاضِعُونَ دُونَ عَظَمَتِكَ وَ جَلَالِ كِبَرِيائِكَ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ إِذَا نَظَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ تَزْفِرُ عَلَى أَهْلِ مَعْصِيَتِكَ سُبْحَانَكَ مَا عِبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ.»

«فَصَلَ عَلَيْهِمْ وَ عَلَى الرُّوحَانِيِّينَ مِنْ مَلَائِكَتِكَ ، وَأَهْلِ الزُّلْفَةِ عِنْدَكَ ، وَ حُمَالِ الْغَيْبِ إِلَى رُسُلِكَ ، وَالْمُؤْتَمِنِينَ عَلَى وَحْيِكَ وَ قِبَائِلِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ اخْتَصَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ ، وَ أَغْنَيْتَهُمْ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ بِتَقْدِيرِكَ ، وَ أَسْكَنْتَهُمْ بَطُونِ أَطْبَاقِ سَمَاوَاتِكَ. وَالَّذِينَ عَلَى أَرْجَائِهَا إِذَا نَزَلَ الْأَمْرُ بِتَمَامٍ وَعَدِكَ.»

«وَ خُزَّانِ الْمَطَرِ وَ زَوَاجِرِ السَّحَابِ وَ الَّذِي بِصَوْتِ زَجَرِهِ يُسْمَعُ زَجَلُ الرُّعُودِ ، وَإِذَا سَبَحَتْ بِهِ حَفِيفَةُ السَّحَابِ اتَّمَعَتْ صَوَاعِقُ الْبُرُوقِ. وَ مُشِيعِي الثَّلْجِ وَ الْبَرْدِ ، وَ الْهَابِطِينَ مَعَ قَطْرِ الْمَطَرِ إِذَا نَزَلَ ، وَ الْقَوَامَ عَلَى خَزَائِنِ الرِّيَّاحِ ، وَ الْمُوَكَّلِينَ بِالْجِبَالِ فَلَا تَزُولُ وَ الَّذِينَ عَرَّفْتَهُمْ مَثَاقِيلَ الْمِيَاهِ ، وَ كَيْلَ مَا تُحْوِيهِ لَوَاجِحُ الْأَمْطَارِ وَ عَوَاجِلُهَا.»

«وَ رُسُلِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بِمَكْرُوهِ مَا يَنْزِلُ مِنَ الْبَلَاءِ وَ مُحْبُوبِ الرِّخَاءِ وَ السَّفَرَةِ الْكَرَامِ الْبَرَّةِ ، وَ الْحَفَظَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ ، وَ مَلِكِ الْمَوْتِ وَ أَعْوَانِهِ ، وَ مُنْكَرٍ وَ نَكِيرٍ ، وَ رُومَانَ فَتَانِ الْقُبُورِ ، وَ الطَّائِفِينَ بِالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَ مَالِكٍ ، وَ الْخُزْنَةِ ، وَ رِضْوَانٍ ، وَ سِدْنَةَ الْجَنَانِ. وَ الَّذِينَ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ ، وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ وَ الزَّبَانِيَةِ الَّذِينَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ابْتَدَرُوهُ سِرَاعًا ، وَ لَمْ يَنْظُرُوهُ. وَ مَنْ أَوْهَمْنَا ذِكْرَهُ ، وَ لَمْ نَعْلَمْ مَكَانَهُ مِنْكَ ، وَ بِأَيِّ أَمْرٍ وَكَلَّتْهُ. وَ سُكَّانِ الْهَوَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ الْمَاءِ وَ مَنْ مِنْهُمْ عَلَى الْخَلْقِ.»

«فَصَلَ عَلَيْهِمْ يَوْمَ يَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ وَ صَلَّى عَلَيْهِمْ صَلَاةً تَزِيدُهُمْ كَرَامَةً عَلَى كَرَامَتِهِمْ وَ طَهَارَةً عَلَى طَهَارَتِهِمْ اللَّهُمَّ إِذَا صَلَّيْتَ عَلَى مَلَائِكَتِكَ وَ رُسُلِكَ وَ بَلَّغْتَهُمْ صَلَاتِنَا عَلَيْهِمْ فَصَلِّ عَلَيْنَا بِمَا فَتَحْتَ لَنَا مِنْ حُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِمْ ، إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ.»

المصدر: الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث، كامل متن الدعاء. فصلت فقراته لتيسير القراءة، وحُفظت ألفاظه وفق النص المراجع.

ثانياً: مقاطع من خطبة الأشباح — في صفة الملائكة

ترد هذه المقاطع في سياق وصف عمارة السماوات بالملائكة وتفاوت صورهم وأقدارهم، ثم بيان أمانتهم وطاعتهم. وهي مختارات، وليست النص الكامل للخطبة أو لجميع مقطع الملائكة فيها.

«جَعَلَهُمُ اللَّهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ فَمَا مِنْهُمْ زَائِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضِعَ إِيْخَابِ السَّكِينَةِ وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلَّلاً إِلَى تَمَاجِيدِهِ وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ».

ومن وصف دوام خشوعهم مع قربهم:

«وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رَبِّقُ خُشُوعِهِمْ وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ وَلَا تَرَكَتْ لَهُمْ اسْتِكَانَةُ الْإِجْلَالِ نَصِيْباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ».

وفي ختام المقطع:

«وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعٌ إِهَابٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ سَاجٍ حَافِذٌ يَزِدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عَلَيْهَا وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظْماً».

المصدر: نهج البلاغة، خطبة الأشباح، رقم ٩١ في الترقيم المعتمد، مقطع «ومنها في صفة الملائكة». ترد الخطبة برقم ٩٠ في بعض الطباعات. تتبع عناوين المقاطع هنا ترتيب المعاني ولا تمثل نصاً متصلاً بين الاقتباسات الثلاثة.

دليل الرجوع: صفات الخلقة في الفصل ٣؛ والطاعة والمحبة والخشية في الفصل ٤؛ والعلم في الفصل ٥؛ وتنوع الوظائف في الفصل ٦؛ والمحب والروحانيون في الفصل ١١. وتوزعت أسماء الدعاء الثالث ووظائفه على الفصول بحسب موضوعاتها، وُجمعت تسمياته في المعجم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم. تُثبت السورة والآية مع النص، وتُجمع مواضع النقل في الملحق الثالث.

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجادية، الدعاء الثالث. اعتمد متن الدعاء مع الفصل بينه وبين الشروح.

الشريف الرضي، محمد بن الحسين، جامع نهج البلاغة، الخطبة الأولى، وخطبة الأشباح برقم ٩١، والخطبة القاصعة برقم ١٩٢ في الترقيم المعتمد. ترد الأشباح برقم ٩٠ في بعض الطبقات؛ ويُقرن الرقم باسم الخطبة وموضوع المقطع.

الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، الأجزاء ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٦ و ٨، الكتب والأبواب والأحاديث المبينة في مراجع الفصول والملحق الرابع. تقدم أسماء الأبواب وأرقام الأحاديث على أرقام الصفحات عند اختلاف الطبقات.

الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، الأمالي، تحقيق ونشر مؤسسة البعثة، قم، المجلس ١٣، الحديث ١؛ والمجلس ٢٨، الحديث ٩، الرقم المتسلسل ٢١٥.

الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، ج ١، الباب ٢٤، ولا سيما الحديث ٣٦، والحديث ٣٠ في موضعه المشار إليه.

ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، الباب ٧٧، أخبار الملائكة عند قبر الإمام الحسين عليه السلام، ولا سيما الحديث ٩.

تفسير القمي، المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي، ج ٢، تفسير مطلع سورة الإسراء، خبر المعراج. تراعى الملاحظة المنهجية المتعلقة بتركيب الكتاب المتداول ونسبة مادته.

الجللي، محمد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج ١، ص ١١٣؛ ج ٣، ص ٥٩ و ١٦٩؛ ج ٩، ص ٥٢؛ ج ٢٢، ص ٤٤٠. استفيد منه في نسبة أحكام على طرق معينة إلى الجللي، لا في تصحيح جميع أخبار الكافي أو تضعيفها.

الجللي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٥٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة المصححة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، أبواب الملائكة ٢٣-٢٥؛ وهو برقم ٥٩ في ترتيب آخر. وكذلك ج ٤٣، ص ٤٦ و ص ١٠٢-١٠٤ و ص ١١٠ و ص ٢٥٨-٢٥٩؛ وج ٩٨، الباب ١٠٧، ص ٤٠٠. أخذت النصوص مع تمييز أصول النقول وكلام الشارح.

الفتال النيسابوري، محمد بن أحمد، روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، ج ١، مجلس في العجائب التي تدل على عظمة الله، الخبر ٧، ص ١٢٩-١٣٠.

ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال، ج ٣، فصل ٥ من أعمال رجب، ص ١٧٤.

المفيد، محمد بن محمد، أوائل المقالات، القول في نزول الملوك على أصحاب القبور؛ والاختصاص المنسوب إليه؛ والصفار، بصائر الدرجات؛ والصدوق، التوحيد؛ وشاذان بن جبرئيل، الفضائل؛ والتفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري. أُفيد من المواضع المحددة من هذه الكتب بواسطة نقل الجللي، كما صُرح في إحالات الفصول.

ضبط الإحالات: عند اختلاف الصفحة بين الطبقات يُرجع إلى اسم الباب ورقم الحديث ومطلع النص. وثبتت أرقام بحار الأنوار وفق ترتيب الطبعة المبين في الإحالة، مع التنبيه إلى اختلاف ترقيم المجلد الذي يجمع أبواب الملائكة.

الفهارس الختامية

تدل الفهارس التالية على مواضع المعالجة بأرقام الفصول، ويبين فهرس المحتويات في أول الكتاب صفحات بداياتها. وتذكر الأسماء الواردة في الأخبار المختلف فيها للوصول إلى مناقشتها، دون أن يعني إدراجها تصحيح جميع ما روي عنها.

فهرس أسماء الملائكة وتسمياتهم

إسرافيل: ٤٨، ٤٩؛ التفصيل في المعجم.

إسماعيل المَلَك: ٢٩؛ التفصيل في المعجم.

بشير: ٤٥؛ التفصيل في المعجم.

جبرئيل وصيغ اسمه: ١٢، ١٥، ٢٨-٣١، ٣٤؛ التفصيل في المعجم.

حزقائيل: ٩؛ التفصيل في المعجم.

الداعي: ٤٠؛ التفصيل في المعجم.

دردائيل: ٣٢؛ التفصيل في المعجم.

راحيل: ٣١؛ التفصيل في المعجم.

رضوان: ٥٣؛ التفصيل في المعجم.

رومان: ٤٦؛ التفصيل في المعجم.

زاجر: ٣٥؛ التفصيل في المعجم.

زوقايل: ٣١؛ التفصيل في المعجم.

صلصائيل: ٣٢؛ التفصيل في المعجم.

عزرائيل: ٤٣؛ التفصيل في المعجم.

فطرس: ٣٢؛ التفصيل في المعجم.

مالك: ٥٢؛ التفصيل في المعجم.

ماروت: ٢٥؛ التفصيل في المعجم.

- مبشر: ٤٥؛ التفصيل في المعجم.
 المنصور: ٣٣؛ التفصيل في المعجم.
 منبه: ٤٦؛ التفصيل في المعجم.
 منكر وناكر: ٤٥؛ التفصيل في المعجم.
 ميكال وميكائيل: ١٢، ١٥؛ التفصيل في المعجم.
 نكير: ٤٥؛ التفصيل في المعجم.
 هاروت: ٢٥؛ التفصيل في المعجم.

فهرس الأوصاف والجماعات

- أعظم ملك المقترن بالنبي: ٢٧.
 الحفظة والمعقبات: ٣٦.
 حملة العرش: ٩، ٥٠.
 الروح: ٧، ٣٤.
 الروح الأمين وروح القدس: ١٥، ٢٨.
 الروحانيون وملائكة المحب: ١١.
 الزبانية وخزنة النار: ٥٢.
 السائق والشهيد: ٥١.
 الكرام الكاتبون: ٣٧-٣٨.
 الملائكة والظواهر الطبيعية: ١٣-١٤.
 ملك الموت وأعوانه: ٤٣.
 خزانة الجنة: ٥٣.
 رقيب وعتيد: ٣٨.
 ملائكة الرحم: ٣٥.
 الكروبيون والملا الأعلى: ١١.
 حرس السماء: ١٠.
 الملك في خبر الحجر الأسود: ١٨.

ملائكة شهود الفجر وطلب العلم والصائمين: ٣٩.

الملائكة الموكلون بزائر المؤمن: ٤١.

فهرس الأنبياء وأهل البيت والشخصيات المذكورة

إبليس: ٨، ١٧؛ ذكر للمقابلة والتمييز بين الجن والملائكة.

آدم: ١، ١٦-١٨.

إدريس: ١٩.

نوح: ١٩.

إبراهيم وسارة: ٢٠، ٢٢.

لوط: ٢١.

يوسف: ٢٢.

موسى وهارون: ٢٣.

داود: ٢٤.

زكريا ومريم وعيسى: ٢٦.

النبي محمد صلى الله عليه وآله: ٢٧-٣١.

أمير المؤمنين علي عليه السلام: ٢٧، ٣١، ٣٤.

السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: ٣١.

الإمام الحسين عليه السلام: ٣٢-٣٣.

الأئمة عليهم السلام وليلة القدر: ٣٤.

فهرس الموضوعات

خلق الملائكة وصفاتهم: ١-٦.

الروح والتمييز بين الخلقين: ٧-٨.

العرش والبيت المعمور: ٩-١٠.

طبقات الملائكة وتدير الأمر: ١١-١٥.

- الملائكة والأنبياء: ١٦-٢٦.
- الوحي والمعراج والتأييد: ٢٧-٣٠.
- أهل البيت وكربلاء وليلة القدر: ٣١-٣٤.
- الملائكة وحياة الإنسان: ٣٥-٤٢.
- الموت والقبر والبرزخ: ٤٣-٤٨.
- النفخ والبعث والحساب: ٤٩-٥١.
- النار والجنة والسلام: ٥٢-٥٤.
- التحقيق الروائي وحدود الحصر: المنهج والملحقان ٤ و٥.

فهرس كتب المصادر

- القرآن الكريم: يُرجع إلى دليل الآيات في الملحق الثالث، مرتباً بحسب السور مع أرقام الفصول.
- نهج البلاغة: ١، ٣، ٤، ٥، ٦، ١١، ٢٧.
- الصحيفة السجادية: ٣، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٥، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٣.
- الكافي: ٧، ١٨، ٢٠، ٣١، ٣٤، ٣٥، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٥.
- تفسير القمي: ٢٩.
- الأُمالي: ٣٢، ٣٩.
- كمال الدين: ٣٢، ٣٤.
- كامل الزيارات: ٣٣، ٣٤.
- بحار الأنوار: ٢، ١١، ١٢، ١٤، ٢٠، ٢٥، ٣١، ٣٢، ٣٦، ٤٣، ٤٥، ٤٦.
- مرآة العقول: ٧، ٣١، ٣٩، ٤١، ٤٢.
- روضة الواعظين: ٩.
- إقبال الأعمال: ٤٠.
- بصائر الدرجات: ١١.
- التوحيد للصدوق: ٣٦ (بواسطة بحار الأنوار).
- أوائل المقالات: ٤٥.
- الاختصاص: ٢.
- الفضائل: ٤٦.
- التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري: ٢٥.

تمت الحكاية، والحمد لله رب العالمين

الكتاب الرابع من سلسلة حكاية

حكاية الملائكة

من بدء الخلق إلى مشاهد الآخرة

﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ ﴾

سورة الأنبياء، الآية ٢٧

من تسبيح الملائكة وحمل العرش، إلى أمانة الوحي وصحبة الأنبياء؛ ومن حفظ الإنسان وكتابة أعماله، إلى مشاهد الموت والبعث والحساب، تمتد هذه الرحلة في عالم الملائكة، في ضوء القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام.

في سبعة أبواب، تتكامل فصول الكتاب مع معجم للأسماء والتسميات، وأدلة للآيات والمصادر وفهارس للرجوع إلى النصوص، مع التمييز بين النص المنقول وتفسيره وما يحتاج إلى تحقيق.



تأليف الباحث والكاتب

السيد حسام زهاء مرتضى الصراف الحسيني

تاريخ التأليف: ٢٧ مارس ٢٠٢١ م — ١٤ شعبان ١٤٤٢ هـ

ISBN 978-1-7642390-6-6

